المنهاج الفكري للداعية

و تأثيرة

في قضايا الفكر الأسلامي

المنهاج الفكري للداعية

وتأثيرة

في قضايا الفكر الأسلامي

تأليف

دكتور

محمد سيد أحمد عامر

الطبعة الأولي

١٤١٠ هـ -١٩٩٠ م

مطبعة الحسين الأسلامية

٢٥ حارة المدرسة خلف الجامع الأزهر

www.mohamedsayedamer.com

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالي

" قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "

سورة يوسف المكية آية ١٠٨

" وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "

سورة فصلت المكية آية ٣٣

" ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ "

سورة النحل المكية ١٢٥

" يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً * وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً * وَلاَ تُطِعِ الكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلا "

سورة الأحزاب المدنية ٤٥ : ٤٨

مقدمة

"الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجاً * قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً * مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدا "

الكهف ١ :٣

و أشهد أن لا إله إلا الله جعل القرآن الكريم تبياناً لكل شئ و منطلقاً لكل خير و حصناً ودفعاً و مواجهة لكل شر " إِنَّ هَذَا القُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً "

الأسراء ٩

و أشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله أنزل عليه القرآن الكريم ليخرج به الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد، اللهم صل و سلم وبارك و أنعم على عبدك و رسولك سيدنا محمد صلي الله عليه و سلم صاحب هذا المقام المحمود و الحوض المورود و الشافعة العظمي يوم يقوم الناس لرب العالمين

وبعد:

* * * فمن أجل النعم التي أنعم الله بها على الإنسان نعمة إرسال الرسل إليهم و على رأسهم خاتمهم سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم لتحديد طرق التفكير السليمة في كل مجالات الحياه و ليبينوا لهم ما يجب وما يستحيل و ما يجوز وما هو حلال أم حرام في كل مجال من مجالات الحياه المختلفة.

"كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ "

البقرة ٢١٣

" رُسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيماً "

النساء ١٦٥

* * *فدعوا الناس إلى الله تعالي و بلغوا دعوته إليهم" وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ "

الأنبياء ٢٥

وتحمل رسول الله صلي الله عليه و سلم تبعات الرسالات السابقة وورث و تحمل أعباء تبليغ رسالة الله إلي البشرية كلها و حمّلها صلي الله عليه وسلم للمسلمين من بعده.

" قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "

يوسف ١٠٨

* * * لقد تحمل المسلمون من بعده صلي الله عليه وسلم تبعات تبليغ دعوة الله تعالي إلى العالم أجمع و تلك ميزة ربما قد تكون خاصة بهم دون غيرهم من أتباع الرسل السابقين- كل على حسب درجته " ثُمَّ أَوْرَثْنَا الكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا "

فاطر ٣٢

"وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ المُفْلِحُونَ"

آل عمران ١٠٤

و المؤمنون بدينهم يحبون أن يتعدي خيرهم إلى غيرهم و خير ما يقدمونه إلى غيرهم هو دعوتهم إلى الله سبحانه و تعالي و بذلك أصبحت الدعوة تبليغاً و سلوكاً من آجل و أفضل القربات التي يتقرب بها الدعاه إلى الله تعالي.

"وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِّمَّن دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ "

فصلت ٣٣

فخرج المسلمون يبلغون دعوة الله تعالي للبشرية كلها فكانوا مفاتيح خير يفتح العباد و البلاد ومشاعل نور يضيئ للبشرية الطريق المستقيم فأزالوا جهالة العالم وبثوا فيهم روح الأيمان و نشروا فيهم العدل و أخوة الأيمان

ولكــن

هل ترك أعداء أنفسهم – أعداء الحق – دعاة الحق ينشرون نور الإيمان و الحق و العدل؟

الإجابة للأسف - بالنفي – لا –

* لقد واجه تيار الإلحاد و أهل الباطل دعوة الحق و دعاة الخير فوضوعوا أمام الدعوة الإسلامية و دعاتها العراقيل و العوائق و استخدموا ما عن لهم من أسلحة مادية أو معنوية.

لقد واجهوا الدعوة الأسلامية و دعاتها بأساليب متعددة ووسائل خبيثة متنوعة مرة بالتشكيك وأخري بالمهادنة و ثالثة بالإحتواء و الإذابة ورابعة بالإنحراف بالدعوة الإسلامية إلى طريق غير طريقها الإلهي المحدد لها تمهيدا للانقضاض عليها و تدميرها.

فهب الدعاة إلى الله لوضع برامج و تخطيط المناهج لمواجهة كل هذا و غيره تتناسب مع الذاتية الإسلامية و مع متطلبات وسائل العصر و منطلقات و نوعية الفكر، لأن الدعوة الأسلامية بيان و تثبيت و دفاع و هجوم. فهي بذلك منهاج رباني المصدر أرضي الوظيفة حركي إيجابي له هدف وغاية.

من هنا جاءت فكرة هذا الكتاب..

بيان المنهاج الفكري – الصحيح السليم – للداعية المسلم بقدر الإمكان و المستطاع. ثم بيان أثر هذا المنهاج فكراً و سلوكاً في قضايا العصر و قضايا الفكر الإنساني و قضايا المجتمع.

وسنتناول في هذه الدراسة الفصول الآتية:

الفصل الأول : مصادر المنهاج الفكري للداعية

الفصل الثاني : المنهاج الفكري للداعية

الفصل الثالث : تأثير المنهاج الفكري للداعية في قضايا الفكر و قضايا المجتمع.

"رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ".

هذا و بالله التوفيق و الله أعلم.

د/ محمد سيد أحمد عامر

الفصل الأول : مصدر المنهاج الفكري للداعية

ويشتمل على :

مدخـــــــل :

أولا : فطرية التشريع والحاجة إليه

ثانيا : ضرورة الوحي و الحاجة إليه

ومبحثين :

المبحث الأول : القرآن الكـريم

ويشتمل على مدخل والمطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم

المطلب الثاني : محتويات القرآن الكريم

المطلب الثالث : أحكام القرآن الكريم

المبحث الثاني : السنة النبوية المطهرة الشريفة

ويشتمل على مدخل والمطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف السنة

المطلب الثاني : حجية السنة

المطلب الثالث : أقسام السنة

المطلب الرابع :محتويات القسم التشريعي في السنة

مدخـــــل

أولا – فطرية التشريع و الحاجة إليه

إن حاجة الإنسان إلى الإجتماع و التجمع و التفاعل مع الغير ضرورة و فطرية وواجبة كذلك.

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ " الحجرات ١٣.

و كذلك حاجته إلى قانون ينظم له حركة حياته هو شخصيا وينظم له حركته مع غيره ليتقاعل معهم أمر بديهي و ضروري.

و لكن السؤال الذي يفرض نفسه بديهاً على الإنسان و يعرض نفسه عليه من أين يستمد الإنسان القانون الذي ينظم له فكره و حركة حياته؟ هل من خالقه عن طريق الوحي و خاصة بعدما لمس بنفسه و شاهد ببصره و بصيرته و فطرته سنن الله في الكون و النفس؟.

أم يستمدها من العقل – بعد أن رأي عجزه عن الإحاطة الشاملة في مجال الغيبات و غيرها؟:

أم من الفكر البشري عن طريق الواقع الإجتماعي، السلطة الزمنية أو الخوف من أصحاب السلطة الدنيوية أو من العرف المنحرف؟.

١- يستمد الإنسان العاقل معرفته – فكره – عموما من الوحي النازل من خالقه من السماء لأن الوحي نور.

" وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُوراً نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلاَ إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ" الشوري ٢٥-٥٣

و من قبل القرآن الكريم كان الأنجيل الصحيح " فِيهِ هُدًى وَنُورٌ ".

المائدة بعض آية ٤٦

و من قبل الأنجيل الصحيح النازل من السماء كانت التوراة الصحيحة " فِيهَا هُدًى وَنُورٌ".

المائدة بعض أيه ٤٤

ولكن نور التوراة و الأنجيل الصحيحين محددان بزمان و مكان و أشخاص، أما نور القرآن فعالمي و مهيمن على ما سبق من الكتب.

" وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الكِتَابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْواءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجاً وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ "

المائدة آية ٤٨

هذا بالنسبة للتوراة الصحيحة النازلة من السماء و كذلك الأنجيل الصحيح النازل من السماء فما بالكم بالتوارة التي اعتراها التحريف و الأناجيل التي دخلها التبديل و التغيير و التحريف؟ لا مقارنة.

. . الوحي حق.

" وَبِالْحَقِّ أَنزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ مُبَشِّراً وَنَذِيراً ".

الأسراء آية ١٠٥

. . الوحي هدي ورحمة و شفاء.

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ".

يونس آية ٥٧

" الوحي هو الكتاب – القرآن الكريم – و السنة النبوية الشريفة.

" وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَى * إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى ".

النجم آية ٣، ٤

٢- العقل :

لقد كرم الله تبارك و تعالي الأنسان و جعله مناط التكليف " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئاً وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " .

النحل آية ٧٨

و العقل من وراء ذلك مصدر التفكير لكنه فكر محدود الزمان و المكان الشخص، فمصادر الفكر و المعرفة إما أن تكون:

١- معرفة حسية: و هي المعرفة عن طريق الحواس و أولها السمع و البصر " قُلْ هُوَ الَّذِي أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ".

الملك آية ٢٣

لكن الحواس وحدها لا تتم بها المعرفة إلا بعد إنتقال الصورة إلى العقل ليحللها التحليل الصحيح و بدون العقل لا توجد معرفة ولا فكر لأن العقل غير المميز له سمع وبصر، و الحيوان كذلك له سمع و بصر لكن معرفتهما عن طريق حواسهما – بغير عقل - قد لا تكون سليمة صحيحة في كثير من الأحيان و قد تختلط.

" وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لاَ يَعْقِلُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَنظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي العُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لاَ يُبْصِرُونَ ".

يونس آية ٤٢، ٤٣

"وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيراً مِّنَ الجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الغَافِلُونَ".

الأعراف آية ١٧٩

فالوسائل الحسية التي منحها الله رب العزة قد فقدت الإتصال السليم فتعطلت وظيفتها الكريمة التي خلقها الله من أجلها فهم لا يسمعون ولا يعقلون، و هم ينظرون ولا يبصرون، و لهم قلوب بها لا يفقهون.

٢- معرفة عقلية أو – بديهية :

كالمعرفة بأن النصف لا يزيد عن الكل، وأن الواحد نصف الأثنين و هذا يحتاج إلى عقل ولا يحتاج إلى حواس.

٣- معرفة خبرية :

و هي لا تتأتي من العقل ولا من الحس، ولكنها تتأتي عن طريق الأخبار كوقوع حادث معين في بلد بعيد يرويه لك صديقك أو قريبك، أو وقوع حادث في الماضي الذي لم يعشه الإنسان و يحتاج إلى من يرويه له، وصدق هذه المعرفة يتوقف على صدق الراوي.

كالإيمان بالله تعالي، و اليوم الآخر، و البعث.

فالعقل قد يدرك طرفا منها و لكن الإدراك العام الصحيح لابد من توقفه على صدق الراوي و هذا الراوي هو رسول الله - صلي الله عليه وسلم – عن طريق الوحي النازل عليه من عند الله تبارك و تعالي عن طريق أمين وحيه.

وليس في الإسلام – ولا في الفكر الصحيح فيه – ما يسمي تعارض العقل و النص، لأن كليهما من عند الله تعالي فالعقل منحة من الله وحده و الوحي منة من الله لخلقة لتبصير العقل، و العقل مناط التكليف و الوحي مرشد و مبين للعقل الطريق السليم الذي يجب عليه – إن أراد لنفسه و صاحبه الخير في الدنيا و السعادة في الآخرة – أن يتفهمه و يحلله و يعمل بمقتضاه.

نتائج المعرفة العقلية :-

لأنواع المعارف السابقة نتائج منها :-

١- اكتشاف سنة كونية كقانون الجاذبية، دورات الأرض حول نفسها و غير ذلك من السنن الآلهية الكونية التي بثها تعالي فى كونه.
٢- بلوغ حقيقة علمية بالحس أو الإستنتاج ككروية الأرض. و هذا هو مجال المنهج التجريبي و بلغت به مستوي الحقائق العلمية.

٣- بلوغ نظرية أو فرض، قد يقف الأمر عند حد النظرية أو الفرض إذا لم يصل العالم برأيه إلى مستوي الحقيقة العلمية.

و النظرية و الفرض قابلان للتغيير و التصحيح[١]

- هذا هو مجال العقل الذي يثمر فيه

أما المعرفة الخبرية فهي لا تأتي إلا عن طريق الوحي كما قلنا و العقل متفهم لها يعمل بمقتضاها.

٣- يستمد الأنسان مصادر فكرة من العرف المنحرف، أو السلطة الزمنية الدينية أو الخوف المهين من أصحاب السطوة الدنيوية أو من بنفسه " وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ".

الأعراف آية ٣٨

" اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهاً وَاحِداً لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ".

التوبة آية ٣١

" قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَاماً وَحَلالاً قُلْ آللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ ".

يونس آية ٥٩

" وَلاَ تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الكَذِبَ هَذَا حَلالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ ".

النحل آية ١١٦

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ ".

البقرة آية ١٧٠

[١] انظر منهج التفكير الإسلامي د/على حريشة ص ٣٨ بتصرف مكتبة وهبه ط١٩٠٤٠،١٤٠٤١

" بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ * وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ".

الزخرف ٢٢، ٢٣

" وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَ لَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوَهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ".

لقمان آية ٢١

فمن الناس:

- من أخذ معارفه العلمية ومصادر فكره من العقل و الحس و التجربة فأبدع فيها و أنتج.
- وفي الوقت نفسه استمد معارفه الخبرية عن طريق الوحي الصحيح السليم.

و هؤلاء هم المسلمون الحقيقون و الدعاه المخلصون طبقوا تعاليم دينهم و استمدوا قوانين حركة حياتهم وأوجه نشاطاتهم الإجتماعية بأنواعها المختلفة من سياسية و اقتصادية و أسرية و دولية و ثقافية و تربوية و علمية..... إلخ، من مصادر فكرهم و هو الوحي – الكتاب و السنة.

- من الناس من أستمد معارفه الخبرية عن طريق تحكيم عقله لغروره به وبخاصة حينما وجد عقله منتجاً في المجال المادي فسحبه أيضا على المجال الخبري فاستمد قوانينه الخبرية التي تحدد له أوجه نشاطه الأجتماعي بأنواعه المختلفة من سياسية و اقتصادية من فكر بشري و من عرف و أصحاب سلطة زمنية أو من الواقع الإجتماعي الذي يعيش فيه أو الوسط البحثي الذي نبع منه و من عقله القاصر.

و من هنا أصبح الوحي الكتاب و السنة – المصدر الأساسي لفكر الداعية المسلم و منهاجه و منطلقا ضروريا لتأثيره في قضايا العصر و قضايا الفكر الأسلامي.

إذن يا ترى ما هو الوحي؟

هذا ما سنتناولة في النقطة التالية:

www.mohamedsayedamer.com

ثانيا : ضرورة الوحي و الحاجة إليه

سنتناول في هذه النقطة:

تعريف الوحي:

(ا) لغة

(ب) اصطلاحاً

(ا) الوحي في اللغة:

قال ابن منظور الوحي: إعلام في خفاء و لذلك الإلهام يسمي وحيا[١].

و قال الراغب الأصفهانيي" أصل الوحي الإشارة السريعة و لتضمن مسرعة قيل أمر وحي" و ذلك يكون بالكلام على سبيل الرمز و التعريض و قد يكون بصوت مجرد عن التركيب و بإشارة ببعض الجوارح و بالكتابة[٢] و إليه ذهب ابن الأثير في النهاية.

و يلاحظ أن الراغب و ابن الأثير نبها على اعتبار السرعة في حقيقة الوحي، وقد أغفل ذلك صاحب اللسان و لكنه أفاض في ذكر معاني لفظ الكلمة.

إن الراغب و ابن الأثير كانا على حق فيما ذهبا إليه فقد أفادت إطلاقات اللغة العربية أن السرعة و الخفاء من سمات الوحي[٣].

فمادة الوحي في الأسلوب العربي تدل على معاني كثيرة أهما:

١- الخفـاء ٢- السرعة

---

[١] لسان العرب مادة – وحي- وفيه أن الوحي بمعني "الإشارة، الكتابة، الرسالة، الإلهام، الكلام الخفي، و كل ما ألقتيه إلى غيرك، و الوحي المكتوب و الكتاب أيضا"
و قال الألوسي : الوحي أصله التفهيم. و مل ما فهم من شيء من الألهام و الإشارة و الكتب فهو وحي : روح المعاني ج ٢٧ ص ٥٢.

[٢] المفردات مادة وحي ص ٥٥٢

[٣] انظر وحي الله د/ حسن ضياء الدين ص ٥٠ بتصرف .

و قد استعمل القرآن الكريم الوحي بهذا المدلول اللغوي بمعناه العام.

١- الإلهام الفطري للإنسان " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي اليَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ".

القصص آية ٧

٢- الإلهام الغريزي للحيوان "وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الجِبَالِ بُيُوتاً وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ" .

النحل آية ٦٨

٣- الإشارة السريعة على سبيل الرمز " فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ المِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِياً ".

مريم آية ١١

٤- ما يلقيه الله عزو وجل إلى الملائكة " إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى المَلاَئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ".

الأنفال آية ١٢

٥- وسوسة الشيطان " وَلاَ تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ ".

الأنعام آية ١٢١ و كذلك الأنعام آية ١٣٦

٦- الإلهام إلى غير الأنبياء " وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي قَالُوا آمَنَّا وَاشْهَدْ بِأَنَّنَا مُسْلِمُونَ".

المائدة آيه ١١١

هذه هي الأفهام السابقة كلها ليست المرادة من إصطلاح الوحي إذ المراد الوحي الشرعي الذي نزل على الأنبياء عليهم السلام.

(ب) تعريف الوحي شرعا "اصطلاحا" :

لقد خاض العلماء الأجلاء بالوحي معركة فلسفية ليست بذات قيمة إذا قيست بما للوحي من جلال و كمال و رفعة تسمو فوق حدود و أقطار العقل البشري، ذلك لأن التعريف دائما يوضع لإزالة إبهام و يكون التعريف أوضح و أجفي من المعرف.

إذا قيل هذا في حدود المنطق البشري فإنه لا يجوز علمياً ولا عقلياً أن يقال في حدود الوحي الإلهي لأنه فوق ما وراء الطبيعة و الفلاسفة أنفسهم يعترفون بأن خوضهم في مسائل ما وراء الطبيعة إنما كان لدافع عدم وجود وحي[١].

وبناءاً على ذلك:

فمن الخطأ علمياً و عقلياً و شرعاً أن تخضع الوحي- و هو أمنية الفلاسفة - للتعريف بالفصل أو الجنس و هما من مقولات المنطق، صنعة الفلاسفة الخاطئة غير المعصومة.

و ذاتيتنا الإسلامية تفرض علينا أن لا نُخضع أي مادة إسلامية و بخاصة المواد التي يجب التسليم بها دون دليل مثل السمعيات أن تخضع للتعريف بالجنس أو الفصل.

و مع ذلك كله ووضوحه فقد خاض كثير من العلماء بالوحي هذه اللجة التي لا منفعة فيها و على الرغم من ذلك سنبين أراءهم و سنعقب عليها.

(ب) أراء العلماء في تعريف الوحي:

اتخذ تعريف الوحي عدة اتجاهات:

١- تعريفه باعتباره مصدراً.

الوحي، إعلام الله أنبياؤه و رسله بما يريد أن يبلغه إليهم من شرع أو كتاب بواسطة أو بغير واسطة"[٢]

٢- وهناك من عرفه باعتبار المعني الحاصل بالمصدر:

---

[١] انظر جواهر العرفان في الدعوة و علوم القرآن د/ رؤوف شلبي ص ٨٦:٩٥.

[٢] رسالة التوحيد الشيخ محمد عبده ص ٨٤.

الوحي " هو عرفان يجده الشخص من نفسه مع اليقين بأنه من قبل الله بواسطة أو غير واسطة".[1]

و نحن لا نوافق على كلمة " الشخص" الموجود في التعريف، لأن الوحي المعروف هو الشرعي خاص بالأنبياء فلا يجوز أن نطلق على الأنبياء كلمة "الشخص"، لأن الشخص أعم فدخل في ذلك الإلهام إلى غير الأنبياء، اللهم إلا إذا كان الشيخ محمد عبده يعّرف الوحي من جهته العامة فلا يكون ذلك تعريفًا للوحي الشرعي[2].

٣- و هناك من عرفه باعتبار الموحى به فقالو ا:

الوحي "هو ما أنزل الله على أنبيائه و عرفهم به من أنباء الغيب و الشرائع"[3].

و الحق الذي نطمئن إليه هو :

الوحي الذي أراده الله تعالي سواء كان الوحي ملكاً نزل بالأمر الإلهي أو كان الوحي هو أوامر الله تعالي إلى رسله.

فالوحي هو حقيقة إلهية أسمي من ذكاء العقل، و أكبر من عبقرية العلماء، و أرفع من مستويات قاعات البحث العلمي، لأنها إرادة الله تعالي التي إذا أرادت شيئاً كفي في إيجاده كن فلا تنتهي النون إلا و قد كان و الله ذو الفضل العظيم.

و العقليون ثم السلفيون متفقون على أن السمعيات لا مدخل للعقل فيها، فهي تقبل ولا طريق لها إلا السمع، و الوحي هو مصدر السمعيات فكيف تناقش باسلوب المنطق[4]؟

---

[1] رسالة التوحيد الشيخ محمد عبده ص ٨٤

[2] انظر جواهر العرفان في الدعوة و علوم القرآن ص ٩٧

[3] عمدة القارى شرح صحيح البخاري للإمام العيني ج١ ص ١٤.

[4] جواهر العرفان في الدعوة و علوم القرآن ص ٩٧ باختصار

انظر فوق ما تقدم

- مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص ٦٣، ٩١ الشيخ الزرقاني:
- وحي الله حقائقه و خصائصه في الكتاب و السنة د/ حسن ضياء الدين عنز

مما سبق يتضح لنا أن الوحي يشتمل على:

١- القرآن الكريم. ٢- السنة النبوية الشريفة.

فالوحي يطلق عليهما غير أن القرآن الكريم هو الحجة لفظاً و معني و مصدر الوحي عن الرسول - صلى الله عليه وسلم - و الرسول صلي الله عليه وسلم مصدره عن الله لأنه صلي الله عليه وسلم هو المبلغ له و ليس ذلك راجعا إلى ذكاء أو عبقرية أو مجتمع إنما مرجعه إلى الوحي الألهي.

فالرسول - صلي الله عليه وسلم - بالوحي مصدر كل فتوي و تشريع.

و من هنا سنبين فقط أن القرآن الكريم و السنة النبوية المطهرة مصدر لمنهاج الداعية الفكري و مبعثه الوحي الإلهي في الإسلام.

و هذا ما سنبحثه في المباحث الأتيه:

المبحث الأول : القرآن الكريم

و يشتمل على

مدخـــــــل

و المطالب الآتية

المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم.

المطلب الثاني : محتويات القرآن الكريم.

المطلب الثالث : أحكام القرآن الكريم.

إذا تناولنا القرآن الكريم كوثيقة للوحي الإلهي في الإسلام و كمصدر من مصادر المنهاج الفكري للداعية.

فإننا سنتناول فيه المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم :

إن القرآن الكريم بعد صيرورته علما على الكتاب المنزل على سيدنا محمد صلي الله عليه و سلم واشتهار ذلك عند الناس أجمعين لا يحتاج إلى تعريف، إذ ليس هناك من يجهل بأنه هو هذه السور و تلك الآيات التى يقرؤها المسلمون، و يحفظها كثير منهم بعد أن تلقوها من قبلهم جمعا عن جمع عن نبيهم محمد صلي الله عليه و سلم الذي تلقاه من الأمين جبريل عن طريق الوحي.

إن القرآن الكريم هو كلام رب العالمين و هو أجل و أشرف من أن يعرّف، لأن الذين عرفوه فقط من جهة رسمه بتعاريف راجعة إلى بيان فائدته و خصائصة و صفاته و مميزاته الذي يتميز بها عن غيره، و الإستدلال به على الحكم من حيث وجوده من عدمه و من حيث الوجوب و غيره كالفقهاء و الأصوليين و المفسرين و هي تعارف جزئية[1].

[1] انظر رسالتنا للدكتوراه ص ٢٨

كتعريفهم له بقولهم :

١- ما نقل إلينا بين دفتي المصحف بالأحرف السبعة المشهورة نقلا متواتراً المنزل على النبي صلي الله عليه وسلم على لسان جبريل[١].

٢- يعرفه المتكلمون بتعاريف كثيرة منها :

يطلق على الكلمات النفسية التي هي متعلقات صفة التكلم القائمة بذاته تعالي[٢].

و في الحقيقة إذا أردنا أن نعرّف القرآن تعريفاً دقيقاً لابد من أن نقرأه كله من أول سورة الفاتحة إلى آخر سورة الناس ثم نقول " هذا كلام الله ".
و بما أننا لا نستطيع أن نعرّف القرآن الكريم تعريفاً بالحد أي بالإحاطة و الشمول لجميع موضوعاته و مسائله و دقائقه و المراد الحقيقي منها، لأن ذلك من اختصاص منزله رب العزة تبارك و تعالي.

و لما كان القرآن الكريم بهذا المعني جزئيا حقيقا كان من المتعذر تحديده بالتعاريف المنطقية – حدا ورسما – ذات الأجناس و الفصول و الخواص و ذلك شأن الجزئيات الحقيقية لا يمكن تحديدها بهذا الوجه، لأن أجزاء التعاريف المنطقية كليات و الكل لا يطابق الجزئي مفهوما، لأنه لم يوجد من يقبل الإنطباق على كل ما يفرض مماثلا له في ذلك الوصف ذهناً و إن وجد في الواقع، فلا يكون مميزاً له عن جميع ما عداه فلا يكون حداً صحيحاً.

وأنما يحدد الجزئي بلإشارة إليه حاضراً في الحس، أو معهوداً في الذهن فإذا أردت تعريف القرآن الكريم تحديداً فلا سبيل إلى ذلك إلا بأن تشير إليه مكتوباً في المصحف أو مقروءاً باللسان فتقول "هو ما بين هاتين الدفتين".

أو تقول هو "بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله رب العالمين – إلى من الجنة و الناس".

أما ما ذكره العلماء من تعريفه بالأجناس و الفصول كما تعرّف الحقائق الكلية فإنما أرادوا به تقريب معناه و تمييزه ع بعض ما عداه مما قد يشاركه في الأسم و لو توهماً، لأن سائر كتب الله تعالي

---

[١] الأحكام في أصول الأحكام جـ ١ ص ١٤٧

[٢] شرح البيجوري على جوهرة التوحيد.
انظر بالتفصيل كتب علوم القرآن، الإتقان، مناهل العرفان في علوم القرآن جـ١ ص ١٧ و ما بعدها

والأحاديث القدسية و بعض الأحاديث النبوية يشارك القرآن الكريم في كونها وحياً إلهياً فربما ظن أنها تشاركه اسم القرآن الكريم فأرادوا بيان اختصاص الأسم به ببيان صفاته التي أمتاز بها عن تلك الأنواع فقالوا:

القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزل على محمد صلي الله عليه و سلم المتعبد بتلاوته[1].

و من هنا لا يستطيع أي إنسان على حسب فهمي أن يعرفه تعريفاً قاطعاً يحيط بمسائله وموضوعاته.

و من هنا آثرت الإكتفاء بالإشارة فقط، لأنه معرف بنفسه و من عند منزله.

المطلب الثاني: محتويات القرآن الكريم :

يحتوي القرآن الكريم على :

١- العقائد التي يجب الإيمان بها كالإيمان بالله و ملائكته، وكتبه، و رسله و اليوم الآخر، و هي الحد الفاصل بين الإيمان و الكفر.
٢- الأخلاق الفاضلة التي تهذب النفوس، و تصلح من شأن الفرد و الجماعة، و تحذر من الأخلاق السيئة التي تسبب الشقاء في الحياه.
٣- الدعوة إلى الإرشاد و النظر و التدبر في ملكوت السماوات و الأرض للتعرف على أسرار الله تعالي و تنهي على التقليد.

---

[1] انظر البيان العظيم – نظرات جديدة في القرآن د/ دراز ص ٩ و ما بعدها، و هذا التعريف يعطينا أن عناصر القرآن الكريم أربعه:
١- كونه لفظا.
٢- كونه عربياً.
٣- كونه منزلاً على محمد .
٤- كونه منقولا إلينا بالتواتر.

٤- بيان سنن الله تعالي الإجتماعية من خلال قصص الأولين أمماً و أفراداً من خلال المعني التاريخي لقضية الكفر و الأيمان.
٥- الإنذار و التخويف أو الوعد و الوعيد.
٦- الأحكام العملية من عبادات و معاملات و علاقات تشريعية فاضلة تدفع شأن المجتمع مع بعضهم البعض و مع الجماعة و مع الله تعالي مما تحفظ على المجتمع رشده و ثباته[١].

المطلب الثالث : أنواع أحكام القرآن الكريم.

القرآن الكريم من حيث الأحكام تراه يشتمل على :

١- الأحكام الإعتقادية التي تتعلق بما يجب على المكلف اعتقاده في الله و ملائكته و رسله واليوم الآخر.
٢- الأحكام الخلقية و هي التي تتصل بالفضائل التي يجب على المكلف أن يستظل برايتها وينضوي تحت لوائها و الرذائل التي يجب على المكلف أن يبتعد عنها.
٣- الأحكام العملية التي تصدر عن المكلف من قول أو فعل أو أي تصرف من التصرفات.

و هي تنقسم إلى :

١- أحكام تتعلق بالعبادات و هي علاقة الأنسان بربه.
٢- أحكام تتعلق بالمعاملات و التي تنظم علاقة المكلف مع مكلف مثله و علاقة المكلف مع المجتمع و علاقة الأمة بالأمم غيرها[٢] و تسمي المعاملات مدنيات في لسان القانونيين[٣] ونحن بدورنا نسميها الإجتماعيات الشرعية .

و من هنا كان القرآن الكريم المصدر الأول و الأساسي لفكر الداعية المسلم و منهاجه، لأن الله تبارك و تعالي جعله تبياناً لكل شئ و شرع فيه جميع القوانين التي تنظم حركة الأنسان

---

[١] انظر الأسلام عقيدة وشريعة الشيخ شلتوت ص ٥٠٠
[٢] انظر أصول الفقه في الأسلام تأليف د/ زكريا البري ص ١٩
[٣] الحدود في الأسلام تأليف المرحوم الأستاذ الدكتور الشيخ محمد محمد أبو شهبة ص ٧٢ ط مجمع البحوث الأسلامية بالقاهرة.

مع الكون الذي يعيش فيه و كذلك ذكر فيه الأحكام و التشريعات التي تبين حركة الإنسان الصحيحة بينه و بين نفسه و بين مجتمعه في سائر نظم الحياه المختلفة من سياسية و إقتصادية و تربوية و أسرية.

ثم ذكر الله تعالي فيه علاقة المخلوق بخالقه.

وصدق الله تعالي إذ يقول :

" وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ".

الأنعام آية ٣٨

. . ففي القرآن الكريم : الأحكام العقدية مثل قوله تعالي:

" آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلاَئِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ المَصِيرُ "

البقرة آية ٢٨٥

. . وفي القرآن الكريم : الأحكام التعبدية مثل قوله :

". . . وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ . . ."

المزمل بعض آية ٢٠

"يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"

البقرة آية ١٨٣

". . . وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ البَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ العَالَمِينَ".

آل عمران بعض آية ٩٧

. . وفي القرآن الكريم : الأحكام السلوكية منها :

"وَلاَ تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحاً إِنَّ اللَّهَ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ".

لقمان آية ١٨

"إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَن تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعاً بَصِيراً".

النساء آية ٥٨

"وَلاَ تَقْرَبُوا مَالَ اليَتِيمِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّى يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ العَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً".

الإسراء آية ٣٤

. . وفي القرآن الكريم : أحكام الأسرة منها :

"وَأَنكِحُوا الأَيَامَى مِنكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ إِن يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ".

النور آية ٣٢

"وَلاَ تَنكِحُوا المُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلاَ تُنكِحُوا المُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُوْلَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ".

البقرة آية ٢٢١

"وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ الرَّضَاعَةَ وَعَلَى المَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ لاَ تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلاَّ وُسْعَهَا لاَ تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا وَلاَ مَوْلُودٌ لَّهُ بِوَلَدِهِ وَعَلَى الوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالاً عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوا أَوْلادَكُمْ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّا آتَيْتُم بِالْمَعْرُوفِ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير".

البقرة آية ٢٣٣

"يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً".

النساء آية ١١

. . وفي القرآن الكريم : أحكام المعاملات ومنها :

"وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلاَ يَظُنُّ أُوْلَئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ".

المطففين آية ١:٤

". . . وَأَحَلَّ اللَّهُ البَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا. . .".

البقرة بعض آية ٢٧٥

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلاَ يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ. . .".

البقرة آية ٣٨٣:٣٨٢

" وَلاَ تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفاً".

النساء آية ٥

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيم".

النساء آيه ٢٩

. . و في القرآن الكريم الأحكام الجنائية :

" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَلَكُمْ فِي القِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُوْلِي الأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ".

البقرة آيه ١٧٨، ١٧٩

" وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِناً إِلاَّ خَطَئاً . . . ".

النساء آية ٩٢، ٩٣

" وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ".

المائدة آية ٣٨

. . و في القرآن الكريم الأحكام الدستورية و منها :

" يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ".

الحجرات آية ١٣

" . . . وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ . . . " .

آل عمران بعض آية ١٥٩

. . و فى القرآن الكريم الأحكام الدولية و و منها :

" لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوَهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ".

الممتحنة آية ٨،٩

لقد اشتمل القرآن الكريم على الأحكام المذكورة آنفا و على غيرها كأحكام الجهاد، المعاهدات، المصارف المالية، المواراد الإقتصادية، النظم الإجتماعية، الأسرية..... و غيرها.

و الكل يمثل وحي الله تعالي إلى البشرية كلها لا فرق فيه بين شعيرة إلا بمقدار ما حدده له رب العزة تعالي.

"لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاَةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ" .

البقرة آية ١٧٧

لا فرق بين العقيدة و الشريعة و الأخلاق و الأحكام، لأن الكل من عند الله تعالي و إن كان أساس الكل العقيدة الصحيحة السليمة.

"رَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ اليَتِيمَ * وَلاَ يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ المِسْكِينِ * فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ * الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ * وَيَمْنَعُونَ المَاعُونَ".

الماعون آية ١:٧

التفكير من أهم مميزات القرآن الكريم

إن للقران الكريم مزايا كثيرة و من أهم مميزايته مزية واضحة يقل فيها فيها الخلاف بين المسلمين و غيرهم، لثبوتها ثبوتاً قطعياً تؤيده أرقام الحساب و إشارات اللفظ اليسير قبل الرجوع في تأييدها إلى المناقشات و المذاهب التي قد تختلف فيها الأراء.

تلك المزية هي التنويه بالعقل و أهميته في أمر العقيدة و التعويل علىه في أمر التبعة و التكليف.

إن القرآن لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم و التنبيه إلى وجوب العمل به و الرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ و الدلالة ، و تتكرر في كل معرض من معارض الأمر و النهي التي يحث فيها المؤمن على تحكيم عقله أو يلام فيها المنكر على إهماله عقله و قبول الحجر عليه.

إن خطاب القرآن الكريم للعقل لا ينحصر في العقل الوازع ولا في العقل المدرك ولا في العقل الذي يناط به التأمل الصادق و الحكم الصحيح ، بل يعم الخطاب في الآيات القرآنية كل ما يتسع له الذهن الإنساني من خاصة أو وظيفة ، و هي كثيرة لا موجب لتفصيلها في هذا المقام المجمل ، إذ هي جميعا ما يمكن أن يحيط به العقل الوازع و العقل المدرك و العقل المفكر الذي يتولي الموازنة و الحكم على المعاني و الأشياء.

أن فريضة التفكير في القرآن الكريم تشمل العقل الإنساني بكل ما احتواه من هذه الوظائف بجميع خصائصها و مدلولاتها.

إن القرآن الكريم يخاطب العقل الوازع و العقل المدرك و العقل الحكيم و العقل الرشيد ، ولا يذكر العقل عرضا مختصرا بل يذكره مقصورا مفصلا على نحو لا نظير له في كتب الأديان السابقة ينجلي في قيما يأتي:

أولا: لقد خاطب القرآن الكريم العقل عامة و منه ما ينطوي على العقل الوازع في آيات كثيرة منها :

"إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَتِي تَجْرِي فِي البَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ المُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ"[1].

البقرة آية ١٦٤

و منها ما يخاطب العقل و ينطوي على العقل الوازع كقوله تعالي "وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ" [2].

الملك آية ١٠

هذا عدا الآيات الكثيرة التي تبتدئ بالزجر و تنتهي إلى التذكير بالعقل ، لأنه خير مرجع للهداية في نفس الأنسان كقوله تعالي "أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ"[3].

البقرة آية ٤٤

ثانياً: يخاطب القرآن الكريم العقل المدرك الذي يقوم به الفهم و الوعي و هما أعم و أعمق من مجرد الإدراك وكل خطاب إلى ذوي الألباب في القرآن الكريم فهو خطاب إلى اللب – هذا العقل المدرك الفاهم لأنه العدن الإدراك و الفهم في ذهن الإنسان كمل يدل عليه اسمه باللغة القرن[4].

---

[1] البقرة آية ١٦٤
و انظر كذلك سورة المؤمنون ٨٠ ، الروم ٢٥:٢٨ ، العنكبوت ٤٣

[2] الملك ١٠ و انظر كذلك الأنعام ١٥١ ، يوسف ١٠٩، الحشر ١٤

[3] البقرة آية ٤٤ ، و انظر كذلك تلأعراف ٦٥ و غير ذلك من الآيات

(م٣ - المنهاج)

[4] انظر التفكير فريضة أسلامية – عباس محمود العقاد ص ١٣ بتصرف دار الكتاب اللبناني – بيروت- لبنان
.

خاطب القرآن العقل المدرك في آيات كثيرة منها " وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ"[1].

آل عمران ٧

هذه الآية وما على مثيلاتها يبين لنا أن اللب الذي يخاطبه القرآن الكريم وظيفته عقلية تحبط بالعقل الوازع و العقل المدرك و العقل الذي يتقلي الحكمة ويتعظ ، لذكر و الذكري ، و يخاطب أناساً عقلاء لهم نصيب من الفهم و الوعي أوفر من نصيب العقل الذي يكف صاحبه عن السوء و في الوقت نفسه لا يرتقي إلى منزلة الرسوخ في العلم و التميز بين الطيب و الخبيث و التميز بين الحسن و الأحسن في القول.

ثالثا العقل المفكر المتأمل :

إن القرآن الكريم يعبر عن العقل الذي يفكر و يستخلص من تفكيره زبدة الرأي و الروية، يعبر القرآن الكريم عنه بكلمات متعددة تشترك في المعني أحيانا و ينفرد بعضها بمعناه على حسب السياق من أحيان أخري فهو الفكر ، و النظر و البصر و التدبر و الإعتبار و الذكر و العلم و سائر هذه الملكات الذهنية التي تتفق أحيانا – كما ذكرنا من قبل – و لكنها لا تستفاد من كلمة واحدة تغني عن سائر الكلمات الأخري.

من هذه الآيات :

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ العَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ".

البقرة آية ٢١٩

"الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ" .

آل عمران ١٩١

[1] سورة آل عمران آية ٧ وانظر كذلك المائدة ١٠٠ و الزمر ١٧و ١٨ وكذلك يوسف ١١١، البقرة ١٧٩ و١٩٧و ٢٦٩ وغير ذلك من الآيات.

تقررت فريضة التفكير في الإسلام بالآيات السابقة و ما في معناها.

وتبين منها أن العقل الذي يخاطبه الإسلام هو العقل الذي يعصم النفس و يدرك الحقائق و يميز بين الأمور و يوازن بين الأضداد و يتبصر و يحسن الأذكار والرواية وأنه هو العقل الذي يقابله الجمود و العنت و الضلال ليس العقل الذي غايته من الإدراك أنه يقابل الجنون فإن الجنون يسقط التكليف في جميع الأديان والشرائع ، وفي كل عرف وسنة ، ولكن الجمود والعنت و الضلال غير مسقطة للتكليف في الأسلام ، وليس لأحد أن يعتذر بها كما يعتذر للمجنون بجنونه ، فإنها لا تدفع المؤاخذة ولا تمنع الملامة بالتقصير.

وبندب القرآن الكريم من يدين به إلى مرتبة في التفكير أعلى من هذه المرتبة التي تدفع عنه الملامة أو تمنع عنه المؤاخذه ، فيستحب له أن يبلغه بحكمته ورشده ، ويبدو فضل الحكمة والرشد على مجرد التعقل والفهم من آيات متعددة في الكتاب الكريم يدل عليها قوله تعالي "وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُوا الأَلْبَابِ" . البقرة آية ٢٦٩

وبذلك يثبت عناية القرآن الكريم بالعقل و الفكر و بات التفكير في الإسلام فريضة واجبة على كل مسلم و مسلمة و من هنا تري القرآن ق حدد الموانع التي تمنع العقل من التفكير السليم.

الموانع التي تمنع العقل من التفكير :

هذه الموانع هي :

١- عبادة السلف – العرف.
٢- الإقتداء المطلق و التبعية لأصحاب السلف الدينية.
٣- الخوف المهين من أصحاب السلطة الدنيوية.

لقد حدد القرآن الكريم الموانع التي تمنع العقل من التفكير السليم و تقف حائلا بينه و بين التذكر و التفكر و الإستنتاج و التدبر و التحليل وواجهها مواجهة عنيفة و هدمها [١].

[١] انظر رسالتنا للدكتوراه اسلوب القرآن الكريم في مواجهه مقالد الحاجة ، انظر كذلك مصادر علم الإجتماع للمؤلف ص ١٧.

ولإشتمال القرآن الكريم على كل ما سبق علاوة على كونه وحياً من عند الله تعالي للبشرية لتنظم به حركة حياتها على منهاج الوحي وزادا أساسيا لفكر الداعية.

من أجل ذلك كله :

كان القرآن الكريم أحد شقي المصدر الأساسي لفكر الداعية المسلم و منطلقا لمنهاجه و تأثيره في قضايا العصر[1].

و إذا كنا قد انتهينا من الشق الأول من الوحي فقد آن الآوان أن نتكلم عن الشق الثاني للوحي و هو السنة النبوية في المبحث للثاني.

[1] انظر كتاب العقل و شرفه، إحياء علوم الدين جـ١ ص ١٥٢:١٤٠، انظر كتاب التفكر و شرفه إحياء علوم الدين جـ٤ ٢٨٣٤:٢٧٨١ و كذلك:
انظر عناية القرآن الكريم.
بـ "العقل" فقد ذكر ٤٩ مره لمعجم المفهرس لألفاظ القرآن ١٦٨
"فكر" المعجم المفهرس ٥٢٥.
"لب" المعجم المفهرس ٦٤٤.
"نظرا" المعجم المفهرس ٧٠٥

المبحث الثاني : السنة النبوية الشريفة

ويشتمل على

مدخـــــل

و المطالب الآتية :

المطلب الأول : تعريف السنة

المطلب الثاني : حجية السنة

المطلب الثالث : أقسام السنة

المطلب الرابع : محتويات القسم التشريعي للسنة

مدخـــــل

إن الوحي التطبيقي للوحي السماوي هو السنة النبوية المطهرة.

و المطالب التي سنتناولها في هذا المبحث هي على الترتيب الآتي:

المطلب الأول : تعريف السنة

١- في اللغة :

تطلق كلمة السنة على حسب معاجم اللغة التي بين أيدينا – بمعني الطريقة المعتادة و السيرة حميدة كانت أو ذميمة ، أو الطريقة و الخطة المتبعة ، و سنة الله ما جري به نظامه في خلقه و الجمع سنن[١].

٢- في الإصطلاح :

تتعد تعاريف السنة في الإصطلاح على حسب تناول العلماء لها في تخصصاتهم.

١. في صدر الإسلام و لسان الشرع :
   - تطلق على ما كان من العبادات نافلة منقولة عن النبي صلي الله عليه وسلم[٢]
   - الصورة العملية التي بها طبق النبي صلي الله عليه و سلم و أصحابه أوامر القرآن الكريم على حسب ما تبين لهم من دلالة القرآن الكريم و مقاصده[٣].
٢. عند علماء الفقه الإسلامي :
   - الفعل القوي الذي دل الخطاب على طلبه طلباً غير جازم فهي بذلك تقابل الواجب فلا تشمل المندوب ولا المستحب ولا التطوع ولا النفل.
   - ما يثاب فاعلها و لا يعاقب تاركها و هي بهذا ترادف المندوب والمستحب والتطوع و النفل و تشملهم جميعا.

---

[١] القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٣٩ و انظر كذلك المصباح المنير ص ٣٤٥ ، مختار الصحاح ص ٢١٧ ، معجم الفاظ القرآن الكريم جـ١ ص ٦٠٢

[٢] الأحكام جـ١ ص ١٥٩.

[٣] الإسلام عقيدة و شريعة الشيخ شلتوت ص ٥١١.

و من هذين التعريفين لعلماء الفقه تدرك أن السنة عند علماء الإسلام هي الطريقة الحسنة التى تعرّف الإنسان السلوك الفاضل في طريقه إلى الله تعالي[١].

والفرق بين المفهومين عند علماء الفقه واضح :

- أن التعريف الأول خاص بالسنة المؤكدة التي تقابل الواجب
- التعريف الثاني عام تشمل كل فعل مسنون سواء كان سنة مؤكدة أو مستحبة وفعلا مندوباً.

٣. عند علماء الأصول :

- ما صدر عن النبي صلي الله عليه و سلم من الأدلة الشرعية فيما ليس بمتلو و لا هو معجز ولا داخل في العجز[٢].
- ما ورد عن النبي صلي الله عليه وسلم أو صدر عنه من قول أو فعل أو تقرير[٣].

و من هنا ندرك الفرق بين تعريف الفقهاء الأصوليين الفقه في :

- أن السنة دليل الحكم الشرعي – عند علماء أصول الفقه – و كانت بهذا مصدرا من المصادر التشريعية يستنبطون منه كما يستنبطون من القرآن الكريم ويرجعون إليها في فهم المراد من القرآن الكريم، لأن "أصول الشرع الكتاب و السنة"[٤] فالسنة تعتبر مصدرا تشريعيا كالقرآن الكريم تمام بتمام من جهة الإستدلال بها، أما من جهه ترتيب الإستدلال فتعتبر المصدر الثاني من حيث ترتيب الإستدلال، أما من حيث الإستدلال فالقرآن و السنة في مرتبة واحده فانتبه.
- هي نفس الحكم عند علماء الفقه.

---

[١] السنة الإسلامية ص ٤
[٢] الأحكام جـ١ ص ١٥٢
[٣] الأسلام عقيدة و شريعة ص ٥١٣
[٤] محاضرات في علوم الحديث جـ١ ص ٢٧

٤. عند المحدثين :

١. ما أضيف إلى النبي صلي الله عليه و سلم من فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية حقيقة أو حكماً حتي الحركات و السكنات و اليقظة و المنام، أو إلى الصحابي أو التابعي من قول أو فعل.

و على هذا فالسنة تشمل الحديث المرفوع ، الموقوف ، المقطوع.

٢. ما أضيف إلى النبي صلي الله عليه و سلم من فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية حقيقة أو حكما حتى الحركات و السكنات و اليقظة و المنام .

و على هذا فهي خاصة بالمرفوع دون الموقوف و المقطوع.

٣. ما أضيف إلى النبي صلي الله عليه و سلم من فعل أو تقرير أو صفة خلقية أو خلقية حقيقة أو حكما.

و على ذلك فهي – السنة – خاصة بالحديث المرفوع فقط و يخرج حركاته و سكناته صلي الله عليه و سلم في يقظته و منامه فهي خاصة للنبي صلي الله عليه و سلم.

و الذي يبدو لي – راجحاً – و الله أعلم - هو التعريف الأول للمحدثين لأنه هو :

- هو المشهور عند أهل السنة
- لأن الله تعالي يأمرنا باتباع الرسول صلي الله عليه و سلم.

" لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً "

لأحزاب آية ٢١

- الصحابة عدول زكاهم القرآن الكريم.

" مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ. . . . "

الفتح آية ٢٩

- التابعون هو تلامذة الصحابة نهلوا من معين علمهم و تخلّقوا بأخلاقهم و كانوا قدوة صالحة لمن بعدهم و نقلوا إلينا علم الصحابة و أفعالهم.

" وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ. . . . "

التوبة آية ١٠٠

و مما يتقدم يتبين لنا أن كلمة سنة مرت بالمعاني الآتية :

- معناها في اللغة
- معناها في صدر الإسلام
- معناها عند الفقهاء
- معناها عند الأصوليين
- معناها عند المحدثين.

المطلب الثاني : حجية السنة

الكلام على حجية السنة يشتمل على :

١. الأدلة على حجيتها :

- لقد أجمع العلماء الثقات على حجية السنة سواء منها ما كان على سبيل البيان أو على سبيل الإستقلال و جعلوا العمل بها ضرورة دينيه و اجتماعية، يقول الإمام الشوكاني "إن ثبوت حجية السنة المطهرة و استقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية ولا يخالف في هذا إلا من لا حظ له في الإسلام"[١].

فلا عجب أن أجمع المسلمون على حجية السنة من سيدنا رسول الله صلي الله عليه وسلم إلى عصرنا هذا إلى ما شاء الله تعالي وذلك :

- لأن العصمة صفة لازمة وواجبة بالشرع للنبي صلي الله عليه و سلم ويترتب عليها – بداهة – ضرورة صدقه صلي الله عليه و سلم في كل ما ينطق به.
- تلقى الرسول صلي الله عليه و سلم عن الله القرآن الكريم الذي نزل عليه بالوحي.
- تلقى الرسول صلي الله عليه و سلم أحاديث قدسية بلغها إليه الوحي باللفظ أو به مع المعني.
- أحاديث نبوية شريفة يشرح بها النبي صلي الله عليه و سلم حكماً شرعيا يبين حله أو تحريمه أو الإخبار عن حكم جديد[٢].

من أجل ذلك ثبتت حجية السنة النبوية الشريفة :

١- بالنص – أي الكتاب و السنة.

٢- بالإجماع

٣- بالعقل

---

[١] إرشاد الفحول إلى علم الأصول ص ٢٩.

[٢] انظر السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين و رفض الجاهلين ص ١١ بتصرف.

١- بالنص أي القرآن الكريم – السنة النبوية الشريفة.

أما القرآن الكريم : فقد استفاض بالأدلة الكثيرة التي ثبتت ذلك منها قوله تعالي " مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ . . . .".

النساء آية ٨٠

جعل الله تعالي طاعة رسوله من طاعته و هذا يوجب الإحتجاج لسنته صلي الله عليه و سلم.

و قوله تعالي " فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجاً مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً ".

النساء آية ٦٥

نفى تعالي الإيمان عمن لم يحتكم إلى رسول الله صلي الله عليه و سلم و لم يرض بحكمه و لم يسلم له بكل ما قال و فعل[١]

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه في إثبات حجية السنة "فرض الله على الناس اتباع وحيه و سنة رسوله فال في كتابه " رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ العَزِيزُ الحَكِيمُ ".

البقرة آية ١٢٩

فذكر الله الكتاب و هو القرآن الكريم و ذكر الحكمه فسمعت ممن أرضاه من أهل العلم بالقرآن يقول : الحكمة سنة رسول الله صلي اله عليه وسلم[٢]

و يقول تعالي "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً".

الأحزاب آيه ٢١

[١] الحدود في الإسلام الشيخ المرحوم الدكتور / محمد أبو شهبه ص ٦٣

[٢] الرسالة ص ١٣

أي إئتسوا برسول الله صلي الله عليه و سلم واقتدوا به فهو المثل الأعلى للكمال الإنساني فلا بد من معرفة بدايته صلي الله عليه و سلم و سيرته و مكارمه و ما أنعم الله به عليه في حياته من حيث هو فرد و نبي و رب أسرة و أب و داع إلى الله تعالي و نور و برهان من ربه و قائد وحاكم في حربه و سلمه و عباداته و معاملاته من حيث هو قدوة و نبراس وخاتم النبين.

و إذا تتبعنا الآيات التي تأمر بطاعة الرسول صلي الله عليه و سلم نجد أن الله جل و عز لم يحدد هذه الطاعة - لا بزمان و لا بمكان – لأنه تعالي إئتمنه على رسالته و لم يخبرنا أن نطيعه في شئ دون شئ.

فإنه صلي الله عليه و سلم – لا يأمر إلا بما يرضي الله – "وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ. . .".

النساء بعض آية ٦٤

و معني – ليطاع بإذن الله –

أي أطيعوه فهو أمر من الله تعالي بطاعته و الطاعة هنا عامة ولا يعقل أن يأمر الرسول صلي الله عليه و سلم بأمر فنطالبه بنص من القرآن على هذا الأمر لآننا أمنا بأنه رسول الله صلي الله عليه و سلم و أنه لا يعقل أن يأمر إلا بما فيه رضا الله تعالي و من أمره صلي الله عليه و سلم بأمر فجادله فيه و طلب منه الدليل عليه من كتاب الله فما عرف الله و ما عرف الرسول صلي الله عليه و سلم لأنه صلي الله عليه و سلم أعلم الخلق بكتاب الله و قد أنزله عليه و أمره ببيانه للناس "وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ" .

النحل آية ٤٤

و قوله "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ. . .".

آل عمران بعض آية ٣١

يقول الإمام الآمدي معلقا على هذه الآية "محبة الله تعالي واجبة و الآية دلت على أن متابعة النبي صلي الله عليه و سلم لازمة محبة الله الواجبة ، يلزم من انتفاء اللازم انتفاء الملزوم و هو ممتنع"[1].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة في هذا الباب.

و أما من جهة السنة :

روي سيدنا جابر بن عبدالله رضي الله عنهما قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم " يُوشِكُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَقُولَ : هَذَا كِتَابُ اللَّهِ مَا كَانَ فِيهِ حَلالا أَحْلَلْنَاهُ ، وَمَا كَانَ فِيهِ حَرَامًا حَرَّمْنَاهُ ، أَلا مَنْ بَلَغَهُ عَنِّي حَدِيثٌ ، فَكَذَّبَ بِهِ فَقَدْ كَذَّبَ ثَلاثَةً : كَذَّبَ اللَّهَ ، وَرَسُولَهُ وَكَذَّبَ الَّذِي جَاءَ بِهِ "[2].

و يروي الصاحبي الجليل أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلي الله عليه و سلم قال " كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى قالوا يا رسول الله ومن يأبى قال من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبي"[3].

- أما من حيث الإجماع :

فقد أجمع الصحابة و التابعون و تابعوهم و الأئمة الأربعة و المسلمون على وجوب طاعة الرسول صلي الله عليه و سلم وحجية السنة.

يقول سيدنا عمر رض الله عنه و أرضاه حينما كان يقبل الحجر الأسود "إني أعلم أنك حجر لا تضر و لاتنفع و لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك"[4].

و يقول الإمام أبو حنيفة "لعن الله من يخالف رسول الله صلي الله عليه و سلم، به أكرمنا الله و به استنقذنا".

---

[1] الأحكام في أصول الأحكام جـ ١ ص ١٦٢

[2] رواية الترمذي وابن ماجه نقلا عن كتاب الفقيه و المتفقه ص ١٠٤

[3] صحيح البخاري جـ ٩ ص ١١٤ كتاب الإعتصام بالكتاب والسنة و الإقتداء بسنة رسول الله صلي الله عليه و سلم

[4] الأحكام جـ١ ص ١٦٣

و يقول الإمام مالك رضي الله عنه : "كل أحد يؤخذ من قوله أو يترك إلا صاحب هذه الروضة".

و يقول الإمام الشافعي "مهما قلت من قول أو أخذت من أصل و فيه عن رسول الله صلي الله عليه وسلم خلاف ما قلت فالقول ما قال رسول الله صلي الله عليه و سلم ، و هو قولي".

و يقول الإمام المحتسب أحمد بن حنبل "إن الله بعث محمدا بالهدي و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون و أنزل عليه الكتاب بالهدي و النور لمن اتبعه و جعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره و باطنه و خاصه و عامه و ناسخه و منسوخه ما قصد له الكتاب فكان رسول الله صلي الله عليه و سلم هو المعبر عن كتاب الله الدال على معانيه"[1].

- و أما من جهة المعقول :

و إذا كان قد ثبتت حجية السنة بالقرآن الكريم و السنة و الإجماع، فإن ذلك بداهة يثبت بالمعقول و الإثبات نواحي كثيرة منها :

- أن فعله صلي الله عليه و سلم يحتمل أن يكون موجباً للفعل علينا و احتمل أن لا يكون موجبا و الحمل على الإيجاب أولي لما فيه من الأمن و الأمان عن ترك الواجب.
- أن النبوة من الرتب العلية و الأوصاف السنية.
- أن أفعاله عليه السلام قائمة مقام أقواله في بيان المجمل و تخصيص العموم و تقييد المطلق من الكتاب و السنة فكان فعله محمولاً على الوجوب كالقول[2].

و بذلك أصبحت السنة النبوية المطهرة قرينة القرآن في الإستدلال ، لأنها الشق الثاني للوحي و المرتبة الثانية في الإستدلال.

---

[1] انظر قول الأئمة في السنة إلى السنة الإسلامية من اثبات الفاهمين و رفض الجاهلين ص ١٥ و ما بعدها

[2] الأحكام في أصول الأحكام جـ١ ص ١٦٣

الشبه – الدعاوي – الواردة في عدم الإحتجاج بالسنة و الرد عليها :

على الرغم من ثبوت الإحتجاج بالسنة نصا و إجماعا و عقلا إلا أنه يوجد فريق قليل لا يعتد به ألتبست أماهم الحوادث و قصرت هممهم عن أسرار التشريع فرفضوا حجية السنة و اكتفوا بما في القرآن على حد زعمهم.

أولئك هم السطحيون في الفهم قصارى النظر في الحفاظ على الإسلام بحضارته و علومه.

و على الرغم من قلة هؤلاء و سطحيتهم إلا أننا سنأتي بشبههم و نفندها من قبيل الرد عليهم وردعا لأتباعهم و لأمثالهم في العصر الحديث و بخاصة في الآونة الأخيرة، حيث ظهر اتجاه إلى إحياء دعوى عدم حجية السنة و الإعتماد على القرآن الكريم فقط.

١. الشبهه الأولي :

يستدلون على ذلك بقوله تعالي "ما فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ"(الأنعام بعض آية ٣٨) و شبهتهم في ذلك أن القرآن الكريم اشتمل على أمور الدين و بينه للناس فإنهم إن احتاجوا إلى شئ كان القرآن الكريم غير مستوعب لكل أمور الدين و هذا خلف يستلزم عدم الصدق في خبر الله تعالي و هو محال فما أدي إليه يكون محالا.

الرد عليها :

١- أساس الشبهه أنهم فهموا أن المراد من الكتاب القرآن الكريم و لكننا إذ نظرنا في مجموع الآيات لوجدناها تقول "وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلاَّ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِي الكِتَابِ مِن شَيْءٍ ثُمَّ إِلَى رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ".

الأنعام بعض آية ٣٨

فالآيات بداية و نهاية تقرر بأن المراد من الكتاب هو اللوح المحفوظ.

٢- نسلم فرضا بأن المراد من الكتاب القرآن الكريم و لكننا نقول أن هذا العموم غير تام بل هو مخصوص بقوله تعالي " وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ" النحل آية ٦٤

و هذا التخصيص لهذا العام مهم لتتفق آيات القرآن الكريم ولا تتعارض في ظاهرها فالقرآن الكريم ملئ بالآيات التي فوض الله تعالي نبيه في شرح الأحكام، و لأن كثيراً من الأمور الجزئية في حياة المجتمع تحتاج إلى حكم و ليس في القرآن إلا قواعده الكلية العامة كالصلاة و الزكاه . . إلخ.

ومن هنا يضع القرآن الكريم قاعدة رئيسية عامة ترد على مزاعم الرافضين حجية السنة فيحدد القرآن الكريم عمل النبوة مع وجوده يقول تعالي " مَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا".

الحشر بعض آية ٧

٣- و نسلم فرضاً أيضا أن المراد من الكتاب القرآن الكريم على عموميته دون تخصيص ولكن ما هو المراد من شئ؟

جاءت جدة ذات يوم إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه تطلب منه الميراث في ابنها فقال لها ليس لك في كتاب الله و ما علمت أن رسول الله صلي الله عليه و سلم جعل لك شيئا، ثم استفتي الناس فقال له أحد الصحابة سمعت رسول الله صلي الله عليه و سلم يعطيها السدس.

و على ذلك فلا بأس أن يكون الكتاب هو القرآن الكريم و أن يكون القرآن الكريم حاويا ومشتملا كل القواعد الكبري التي تنظم للناس شئون دنياهم و تكون السنة النبوية هي الموضحة لهذه المعالم ، لأنه اتضح بأن المراد من شئ في الآية ليس كل الأحكام التي يحتاج إليها المجتمع و إنما المراد هي الأحكام الرئيسية العليا ثم تأتي السنة لتوضيحه أو تبينه و إلى هذا يشير قوله تعالي

" وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ. . ."

النساء بعض آية ٥٩

و بهذا فلا مجال لوجود الشبه مطلقاً في حيز الإفتراض و المناقشة فهي واهية من كل زاوية، ضعيفة القدرة على أن تقف لتمنع الإحتجاج بالسنة أو لرفض كونها مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامي و مصدراً كذلك لعلم الإجتماع الإسلامي.

٢. الشبهه الثانية :

يستدلون فيها بقوله تعالي " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون".

الحجر آية ٩

و هم يفهمون على حسب وجهة نظرهم أن المراد من الذكر القرآن الكريم و أن الضمير في قوله تعالي "له" عائد على القرآن الكريم و أن الآية فيها حصر طريقه الجار و المجرور و هذا الحصر يفيد عندهم قصر الحفظ على القرآن الكريم وحده دون ما عداه، فلو كانت السنة مصدراً أساسيا في التشريع تلإسلامي لتكفل الله بحفظها كما تكفل بحفظ القرآن الكريم.

الرد عليها :

١. ليس بلازم في الإحتمالات العقلية أن يكون المراد من الذكر هو القرآن الكريم وحده، إذا لو كان المراد هو القرآن لصرح الله به باللفظ كقوله تعالي " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ".

و لو كان المراد بالذكر القرآن الكريم لعبر عنه بالضمير إنا نحن نزلناه.

إذن فليس بالحتم أمام فهم العقل أن يكون المراد بالذكر هو القرآن الكريم فقط دون غيره و إنما الأقرب من هذا التفسير أن يكون المراد من الذكر الرسالة والشرف الذي يستحقه رسول الله و سياق السورة يدلنا على ذلك.

٢. و قد يكون المراد من الذكر الشيعة و يرشح لهذا الإحتمال ما تناولته السورة بعد الآية التي معنا " وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شِيَعِ الْأَوَّلِينَ".
٣. نسلم بأن المراد بالذكر "هو القرآن" و أن الضمير في قوله "له" عائد عليه و لكن الحصر على أن السنة لم تدخل في دائرة الحفظ لقصره على القرآن الكريم فقط لترتب علي هذا الحصر عدم صحة الإحتجاج بالسنة.

هذا الحصر ليس حصرا حقيقا و الدليل أن الله تعالي يحفظ السموات و الأرض أن تزولا، يقول الله تعالي " إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيماً غَفُوراً" .

فاطر آية ٤١

و قد حفظ الله تعالي نبيه صلي الله عليه و سلم من القتل " وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنْ النَّاسِ ".

و إذ فسدت حقيقة القصر فقد فسد المترتب عليه و هو عدم الإعتراف بحجية السنة و يكون وعد الله بحفظ السنة داخل مضمون حفظه للقرآن الكريم، إذ السنة توضيح و بيان لما في القرآن الكريم " وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ "

النحل بعض آية ٤٤

و الحصر في الآية بطريقة الجار و المجرور هو عند علماء المعاني من الدرجة الثالثة، فلو كان المقصود الحصر لاستعمل القرآن الكريم الحصر الحقيقي أو بطريق ما و إلا و إنما.

٣. الشبة الثالثة :

يقولون بأن الرسول صلي الله عليه و سلم نهي عن كتابة السنة فلقد ورد عنه صلي الله عليه و سلم أنه قال "لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن و من كتب غير القرآن فليمحه و حدثوا عني ولا حرج و من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار"[١].

و كذا يقولون قد ورد من طريق أبي مليكه مرسلا أن أبا بكر الصديق جمع الناس بعد وفاة الرسول صلي الله عليه و سلم و قال "إنكم تحدثون عن رسول الله في أحاديث تختلفون فيها و الناس بعدكم أشد اختلافاً فلا تحدثوا عن رسول الله صلي الله عليه

[١] رواه الإمام عن طريق أبي سعيد الخدري.

وسلم شيئاً و من سألكم فقولوا بيننا و بينكم كتاب الله فاستحلوا حلاله و حرموا حرامه".

و إذا كان الرسول صلي الله عليه و سلم نهي عن تدوين السنة و أبو بكر منع الناس من أن يحدثوا عن رسول الله صلي الله عليه و سلم كان مدلول هذا عدم الإحتجاج بالسنة.

الرد عليها :

١. في الحديث الذي رواه أبو سعيد الخدري نقطتان:
   - أمر رسول الله صلي الله عليه و سلم بالتحديث دون حرج.
   - نهيه عن تدوين السنة و يمحوا ما دون منها.

و مفهوم أن النبي صلي الله عليه و سلم أمر بحفظ السنة بطريق واحد هو طريق الحفظ و التحديث و الرواية عنه دون طريق الكتاب و التقييد.

و على هذا فلا سند للمشتبهين في عدم الإحتجاج بالسنة في هذا الحديث.

٢. عدم الأمر بكتابة السنة لا ينفي حجيتها كمصدر أساسي للتشريع، إذ أن مصدريتها غير متعلقة بالكتابة و التدوين.
٣. الحديث الذي رواه أبو مليكة يفيد حرص أبو بكر الصديق رضي الله عنه على سلامة متن الحديث من بعض الرواه من غير دقة أو فهم و هذا لا يصطدم مع كون السنة مصدر أساسي للتشريع، لا سيما إذا لاحظنا أن أبا بكر نفسه أنفذ للجدة نصيبها من الميراث مستنداً للسنة النبوية، فعمل أبي بكر بالسنة يوضح مقصده من حديث مليكة و الحرص على سلامة متن الحديث و هو أمر لا يتنافي مع حجية السنة.
٤. على أن الإستدلال بهذين الحديثين يقابل بأحاديث أخري كثيرة تفيد حجية السنة فعلى سبيل المثال لا الحصر:

عن المقدار بن معد كرب الكندي رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه و سلم قال " أوتِيتُ الْكِتَابَ ، وَمَا يَعْدِلُهُ ، وَيُوشِكُ شَبْعَاناَ عَلَى أَرِيكَتِهِ ، يَقُولُ : بَيْنَنَا وَبَيْنَكمْ هَذَا الْكِتَابُ ، فَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَلالٍ أَحْلَلْنَاهُ وَمَا كَانَ فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ

، أَلا لا يَحِلُّ ذُو نَابٍ مِنَ السِّبَاعِ ، وَلا الْحِمَارُ الأَهْلِيُّ ، وَلا اللُّقَطَةُ مِنْ مَالِ مُعَاهَدٍ ، إلا أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنْهَا و أيما رجل أضاف قوما فلم يَقْرُوهُ ، فَإِنْ لَمْ يَقْرُوهُ فَأن لَهُ أَنْ يُعْقِبَهُمْ بِمِثْلِ قِرَاهُ "[1].

٥. و نقول إذا كان هؤلاء لا يعترفون بحجية السنة فكيف يأخذون بها في إثبات دعواهم بعدم حجية السنة؟

و إذا كانوا كذلك فعليهم أن يأتوا لنا بدليل من القرآن الكريم ذاته يخبرنا فيه بترك ما جاء في عن رسول الله صلي الله عليه و سلم تصريحاً أو تلميحا.

[1] الحديث رواه أبو دواد و الترمذي .

انظر علاوة على ما سبق بالنسبة للشبه إلى :

- الإسلام عقيدة و شريعة للشيخ شلتوت ص ٥١٦
- السنة النبوية د. متولي يوسف شلبي ص١٨ .

المطلب الثالث : أقسام السنة

إذا أردنا أن نتعرف على محتويات السنة النبوية الشريفة فلابد لنا أن نعرف أقسام السنة.

فالسنة النبوية تنقسم إلى :

١. سنة غير تشريعية
٢. سنة تشريعية ، و هذه تنقسم إلى :
    ١. سنة تشريعية غير ملزمة
    ٢. سنة تشريعية ملزمة و هي تنقسم إلى :
        ١. عامة
        ٢. خاصة

أ- السنة غير التشريعية :

و هي ما سبيله سبيل التجارب و العادة الشخصية أو الإجتماعية كالذي ورد في شئون الزراعة و الطب.

لقد أشار النبي صلي الله عليه و سلم برأيه الشخصي في بعض ظروف الحياة المعيشية التي لا مدخلية للسنة في التكليف أو التشريع .

فمثلا يروي البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله صلي عليه و سلم قال "الشفاء في ثلاثة في شرطة محجم، أو شربة عسل، أو كية نار و أنهي أمتي عن الكي".

هذه أمور طبية تصلح بالتجربة في الظروف الخاصة بالفقه، فإن المتخصصين بالشئون الصحية يقولون:

"إن الفصد أنفع في البلاد الباردة و الحجامة أنفع في البلاد الحارة" فإذا قرأ المسلمون في البلاد الباردة هذا الحديث، فهل يلتزمون على أنه شرع عام ؟ - لا-.

كلا، لأن السنة هنا تتكلم بناء على التجربة الخاصة في البيئة الخاصة.

وكذلك شرب العسل قد يكون شفاء لبعض الناس وداء للبعض الآخر، فإن الأبدان تختلف والطبائع متباينة.

و إنما فقه الحديث "إن الشفاء لبعض الناس في بعض البيئات قد يرتبط بإحدي هذه التجارب الطبية، ولا يمنع أن يكون الشفاء في غيرها، ولا يمنع أن يتخذ المسلمون وسائل للشفاء حسب مقررات الطب ومعلومات عن الإنسان في البيئة الطبية الخاصة" و كل ما يرد فيها عن رسول الله صلي الله عليه و سلم من هذا القبيل فهو يدخل تحت هذا القسم تحقيقا لقوله صلي الله عليه و سلم "أنتم أعلم بأمور دنياكم"، فمن أخذ بها تبركاً و تيمناً برسول الله صلى الله عليه و سلم كتب الله له تحقيق المأرب و جنبه مصارع السوء و هداه سواء السبيل و من تركه فلا إثم ولا تثريب عليه.

لكن علينا أن نفهم :

أن الإسلام يحترم في البشر عقولهم و يدفعهم إلى العمل بما أودعه الله فيهم من قدرات و أن يكون عملهم مقترناً بطاعة الله تعالي بداية و نهاية دافعا ووسيلة وغاية.

و من هنا

فإن المسائل التى ترتبط بحياة الدولة سياسيا أو عسكريا أو بحياة الأفراد لم يشرحها الإسلام شرحاً تفصيلياً حتي لا يعيش المسلمون عالة على التشريع في كل شئ و يعطلون فهم العقل و الذكاء و قدراتهم التى حباهم الله بها، و من هنا اكتفي الإسلام بالخطوط الرئيسية فحدد الدائرة في كل مجال تتجدد فيه الحركة و تتعدد فيه أوجه النشاط على أساس أن تكون هذه الحركة داخل هذه الدوائر ولا تخرج عنه و أن تكون مصاحبة للخلق الإسلامي مبنية على الكتاب والسنة.

وفي هذا الجو :

١. معني قول الرسول صلي الله عليه و سلم "أنتم أعلم بأمور دنياكم".
٢. كما يظهر لنا التوكل على الله غير التواكل.

فالأول حركة مع الإيمان طبقا لشروطه و الثاني عالة مع التعطيل و الخروج على طاعة الله.

الأول دعوة الإسلام و الثاني يجافي الدين و عقبة أمام البشرية[١]

[١] انظر السنة الإسلامية ص ٧٥ بتصرف يسير.

ب- السنة التشريعية :

و هي تنقسم إلى :

١- سنة تشريعية غير ملزمة.

٢- سنة تشريعة ملزمة و تنقسم إلى :

١- عامة.

٢- خاصة.

١. السنة التشريعية غير الملزمة

بعضهم أدخل فيها :

١. ما سبيله إلى التدبير الإنساني أخذاً من الظروف الخاصة كتوزيع الجيوش على المواقع الحربية، و تنظيم الصفوف في الموقعة الواحدة، و الكمون، و الكر و الفر، و اختيار أماكن الجيوش و ما إلى ذلك مما يعتمد على الظروف و الدرايه[١].

و هذه نوافق عليها.

٢. ما سبيله سبيل الحاجة البشرية، كالأكل و الشرب و النوم و المشي و التزاور والمصافحة بين شخصين بالطرق العرفية و الشفاعة، و المساومة في البيع و الشراء و اللباس[٢].

هذه لا نوافق عليها كلية، لأنها تحتاج إلى إيضاح ووقفة.

إذا كان البعض قد أدخل في السنة غير التشريعية غير الملزمة قد أدخل – الأكل والشرب و اللبس . . . إلخ .

فهذا يحتاج إلى تحقيق :

الأكل و الشرب – مثلا – كلام يشمل :

- المأكول و المشروب – الهيئة أو الكيفية – الأواني – فأخذ الكلام على عمومه مرفوض.

---

[١] الإسلام عقيدة و شريعة ص ٥٠.

[٢] السنة و التشريع أ.د عبدالمنعم النمر ص ٩، ٣٥ دار الكتاب المصري.

- هل بيان المأكول و المشروب المحرم و المكروه و المباح من السنة غير التشريعية أو السنة التشريعية غير الملزمة؟

هل حديث " أُحِلَّتْ لَنَا مَيْتَتَانِ وَدَمَانِ : السَّمَكُ ، وَالْجَرَادُ ، وَالْكَبِدُ ، وَالطِّحَالُ " و حديث أكل الضب على مائدة الرسول صلي الله عليه و سلم سنة غير تشريعية أو سنة تشريعية غير ملزمة؟

اللهم . لا.

لقد أحل لنا رسول الله صلي الله عليه و سلم الطيبات و حرم علينا الخبائث، فالمأكول و المشروب سنة تشريعية من حيث الحل و الحرمة.

أما أنه صلي الله عليه و سلم :

أكل نوعاً من الحلال ، و ترك غيره يأكل نوعاً آخر فالتشريع فيه إباحة ما أكل و مالم يأكل مما بينه.

و أما الأوان :

فقد نهي رسول الله صلي الله عليه و سلم عن الأكل و الشرب في صحائف الذهب و الفضة و نهي عن الأكل في أواني الكفار إلا بعد غسلها و هي تشريع قطعاً.

أما أنه صلي اله عليه و سلم أكل في قصعة من الفخار و نحن نأكل في الأواني الفاخرة غير الذهبية و الفضية فهذا من المباحات و الإباحة تشريع.

و أما الهيئة :

فهناك :

هيئات مأمور بها، و هيئات منهي عنها، و هيئات أخري كثيرة مباحة و الكل تشريع.

"يا غلام سم الله و كل بيمنك و كل مما يليك" هيئة أكل مشروعة.

و نهي رسول الله صلي الله عليه و سلم عن إختناث الأسقية – أي الشرب من أفواهها – هيئة ممنوعة شرعا.

أما أنه صلي الله عليه و سلم يأكل بأصابعه و يده و نحن نأكل بالملاعق و الشوك و السكاكين فهو من باب المباحات المشروعة.

فماذا في الأكل و الشرب من السنة غير التشريعية؟

إن قصدوا بالسنة غير التشريعية السنة غير الملزمة، و هي المباحات كان الخلاف بيننا لفظيا.

و إن قصدوا بها ما هو مطلوب على وجه الوجوب أو الندب ، و ما هو منهي عنه على وجه الحرمة أو الكراهية فهو غير مسلم.

ومثل ذلك ما يقال في النوم، و اللبس و كل ما هو خاص بالحاجة و الطبيعة البشرية كما يقولون، حتي قضاء الشهوة مع الزوجة له قواعده و أصوله و حدوده المشروعة.

و لست أري سنة غير تشريعية بالمعني الحقيقي، اللهم إلا ما ورد فيما طريقه الخبرة و الصنعة و التخصص كالزراعة، الصناعة، و يلحق بها الطب، و قيادة الجيوش و فن الحرب.

أما القائلون بالمصلحة كمصدر من مصادر التشريع فقد اشترطوا لها أن لا تصادم نصاً من الكتاب والسنة الصحيحة، فهم أخذوا بمراعاة المصالح فيما لم يرد فيه قرآن أو حديث صحيح.

أما ما ورد فيه قرآن أو حديث صحيح فالمصلحةفيما جاء به الكتاب و السنة - النص[1].

٢. السنة التشريعية الملزمة

إن النبي صلي الله عليه و سلم صدرت عنه مجموعات من الأحكام الشرعية التي تتعلق بذمة المكلفين.

هذه الأحكام صدرت عن النبي صلي الله عليه و سلم بناء عن عدة أوصاف للنبي صلي الله عليه وسلم :

[1] السنة و التشريع أ.د موسي شاهين لاشين ص ٦٣ مجلة مركز بحوث السنة و السيرة العدد الثاني ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧ م بقطر.

١- بوصفه رسولاً مبلغاً عن الله شرعه و أحكام دينه.

٢- بوصفه رئيساً للدولة و راعياً لها.

٣- بوصفه قاضياً بين الناس في المنازعات و الخصومات.

و من هنا تنقسم السنة التشريعية الملزمة من حيث العام و الخاص من ناحية الأحكام إلى :

١- سنة ملزمة عامة تتعلق بالأحكام الملزمة لجميع المكلفين و هو ما فصل أو فسر مجمل القرآن الكريم.

٢- سنة ملزمة خاصة و هي تتعلق بتصرفات الرياسة و القضاء[١].

أقسام السنة الملزمة :

السنة الملزمة تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

أولاً : ما يصدر عن النبي صلي الله عليه و سلم على وجه التبليغ بصفته رسولا ، كأن يبين مجملا من الكتاب، أو يخصص عاماً، أو يقيد مطلقاً، أو يبين شأناً من العبادات، و الحلال و الحرام أو العقائد و الأخلاق أو شأناً متصلا بشئ مما ذكر.

هذا النوع تشريع عام إلى يوم القيامة، فإن كان منهياً عنه اجتنبه كل إنسان بنفسه، لا يتوقف في ذلك على شئ سوي العلم به و الوصول إليه.

ثانياً : ما يصدر عنه صلي الله عليه و سلم بوصف الإمامة و الرياسة لجماعة المسلمين، كبعث الجيوش للقتال، و صرف أموال بيت المال في جهاتها و جمعها من أمكنتها، و تولية القضاء و الولاه، و قسمة الغنائم و عقد المعاهدات و غير ذلك مما هو في شأن الإمامة و التدبير العام لمصلحة الجماعة.

و حكم هذا أنه ليس تشريعاً عاما فلا يجوز الإقدام عليه إلا بإذن الإمام ليس لأحد أن يفعل شيئاً منه من تلقاء نفسه بحجة أن النبي صلي الله عليه و سلم فعله.

---

[١] انظر السنة الإسلامية ص ٧٣ بتصرف يسير.

ثالثاً : ما يصدر عن النبي صلي الله عليه و سلم بوصف القضاء، فإنه لما كان رسولا مبلغ لأحكام ربه، رئيساً عاما للمسلمين ينظم شئونهم و يدير سياستهم، كان عليه الصلاة و السلام مع ذلك قاضياً يفصل في الدعاوي بالبينات أو الإيمان أو النكول.

و حكم هذا كسابقة، ليس تشريعاً عاماً حتي يجوز لأي إنسان أن يقدم عليه بناء على قضائه صلي الله عليه و سلم به و فصله فيه بحكم معين من حكم بينهم، بل يتقيد المكلف فيه بحكم الحاكم، لأن الرسول صلي الله عليه و سلم تصرف بوصف القضاء.

و من هذه الجهة لا يلزم المكلف إلا بقضاء.

فمن كان له حق على آخر ، و جحده، و له عليه بينة فليس له أن يأخذ حقه إلا بحكم الحاكم، لأن هذا هو شأن أخذ الحقوق عند التجاحد على عهد رسول الله صلي الله عليه و سلم[1].

[1] انظر الأسلام عقيدة و شريعة الشيخ محمود شلتوت ص ٥٢٢.

المطلب الرابع : محتويات القسم التشريعي في السنة

إن القسم التشريعي في السنة ينقسم بالنسبة للأحكام التشريعية إلى :

أولاً : العقائد التي حددها الإسلام في الفرق بين الإيمان و الكفر مما يتعلق بالله و صفاته و ما يتعلق بالرسل و الوحي ، و ما يتعلق باليوم الآخر.

هذا القسم قد تكفل القرآن الكريم ببيانه و كان القرآن الكريم لتواتره و إفادته للقطع و هو المصدر الوحيد للتعرف على هذه العقائد، فما طلب من الناس الإيمان به فهو العقيدة، و ما لم يطلب الإيمان به فليس بعقيدة.

و السنة النبوية الشريفة في هذا القسم ليست إلا مرددة لما أثبته القرآن الكريم و ليس في العقائد ما انفردت السنة بإثباته أو ما يخالف السنة أو الحديث أو القرآن الكريم.

ثانياً : الأخلاق

في السنة النبوية الشريفة – و في الحديث -كثير من الحكم و الآداب و النصائح ، مثل ما ورد في مدح العدل، و الصدق، و الوفاء بالعهد، و ذم ما يقابها.

و هي كثيرة جدا في القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة و هي بطبيعتها أمور يتطلبها الكمال الإنساني، و تدعوا لها الفطرة السليمة و كل ما جاء في السنة فله أصل في القرآن الكريم و السنة فيها إما مرددة أو مذكرة، أو موضحة أو مفصلة.

و هذان القسمان – العقائد و الأخلاق – لا كلام لنا فيهما فيما نحن بصدده.

و إنما الكلام في القسم الثالث و هو :

ثالثا : الأحكام العملية التي تتصل :

١. بضبط العبادات.
٢. بتنظيم المعاملات و تمييز الحقوق، و الحكم بين الناس.

و قد روي في هذا القسم جزء كبير من أحاديث السنة النبوية اتخذها العلماء المصدر الثاني للتشريع بعد القرآن الكريم، أي المرتبة الثانية عند استنباط الحكم الشرعي من الأدلة ترتيباً.

أما قيمة الحكم نفسه فالسنة متساوية مع القرآن الكريم تماماً بتمام، فنظر العلماء فيها و استنبطوا منها، و بينوا دلالات القرآن الكريم مما عرض له من أحكام.
و الأحكام التي تستفاد من هذا القسم هي التي نسميها "فقه السنة" و أحاديثها تعرف بأحاديث الأحكام.
كما أن أحكام العبادات و المعاملات التي تستنبط في القرآن الكريم نطلق عليها "فقه القرآن الكريم" و آياتها تعرف بآيات الأحكام.

و على ذلك يكون المراد من عبارة "فقه القرآن و السنة".
الأحكام العملية بشئون الإنسان فرداً كان أو جماعة المستفاده بطريقة مباشرة من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بحسب الدلالات المعهودة للكلام في اللغة العربية، و إنما قلنا بطريق مباشر، لتخريج الأحكام المستفادة بطريق القياس أو تقدير المصلحة فإنها لا تندرج معنا[1].

و من هنا كان :
الوحي "فقه القرآن و السنة " بشقيه الكتاب و السنة المصدر الرئيسي و الأساس لفكر الداعية المسلم و منهاجه.

و الخلاصة أن الوحي "فقه القرآن و السنة " بشقيه الكتاب و السنة النبوية – هو المصدر الأوحد لفكر الداعية و منهاجه.

[1] انظر الإسلام عقيدة و شريعة ص ٥٢٦

و الخـــــــلاصة

إن الوحي بشقية يشتمل على :

١- الأحكام الإعتقادية كالإيمان بالله و بصفاته والتصديق برسل الله و بما ورد في شأنهم من الأخبار المغيبة.

و هذه تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- الإلهيات و هي ما يتعلق بالله سبحانه وتعالي من واجب له و مستحيل عليه و جائز في حقه تعالي.

٢- النبوات و هي ما تتعلق بالأنبياء مما يجب لهم و ما يستحيل و ما يجوز في حقهم.

٣- السمعيات و هي ما ما يدل عليها النقل فقط، أي الكتاب و السنة و لا مجال لدلالة العقل عليها كالإيمان بالبعث و الثواب و العقاب.

٢- الأحكام التهذيبية التي يطلق عليها "الخلق" و ترتبط بالفضائل التي يجب أن يتحلي بها الشخص كالصدق و الأمانة و الإحسان إلى الوالدين و الجار . . . . إلخ.

و غيرها من الصفات التي تهذب النفس و تقومها.

كما أنها تتعلق أيضا – ببيان الرذائل مثل الكذب و الخيانة و الحماقة، و غيرها من الصفات التي تشين النفس و تبعدها عن طريق الصواب، فيجب الكف عنها.

٣- الأحكام العملية التي تتعلق بأمور العباد كالعبادات و غير ذلك من أمور سياسية و اجتماعية واقتصادية. . . . إلخ.

و الأحكام العملية تنقسم إلى قسمين رئيسيين:

١- العبادات و هي : الصلاة، الصيام، الزكاة، الحج.

٢- المعاملات و هي تنقسم إلى :

أ- القانون الدولي العام – الخارجي - .

ب- القانون الداخلي و هو يشتمل على :

١. القانون الدستوري.
٢. القانون الإداري.
٣. القانون الجنائي.
٤. القانون الخاص و هو يشتمل على :
    ١. القانون المدني
    ٢. القانون التجاري.
    ٣. قانون المرافعات المدنية.
    ٤. القانون الدولي الخاص.
    ٥. قانون العمل.
    ٦. عقد التأمين[١].

و بعد أن انتهينا من مصدر منهاج الداعية الفكري ، نذكر المنهاج الفكري للداعية.

و هذا ما سنبحثه في الفصل الثاني – أن شاء الله تعالي.

[١] انظر مذكرات الفقة د/ زكريا البري ص ٢٦:٣٢ بتصرف شديد، انظر كذلك أصول الفقه عبدالوهاب خلاف ص ٣٢.

الفصل الثاني : المنهاج الفكري للداعية

و يشتمل على

مدخـــــل

و المباحث الآتية

المبحث الأول : منهاج تفسير القرآن الكريم و تخريج الحديث

و ينقسم إلى :

المطلب الأول : خطوات المنهاج.

المطلب الثاني : ثمرة المنهاج.

المبحث الثاني : منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.

و ينقسم إلى :

المطلب الأول : خطوات المنهاج.

المطلب الثاني : ثمرة المنهاج.

المبحث الثالث : منهاج المناقشة.

و ينقسم إلى :

المطلب الأول : خطوات المنهاج.

المطلب الثاني : ثمرة المنهاج.

المبحث الرابع : منهاج التدريس.

و ينقسم إلى :

المطلب الأول : خطوات المنهاج.

المطلب الثاني : ثمرة المنهاج.

مدخـل

إذا نظرنا إلى المنهاج الفكري للداعية المسلم الذي يتحلي به في دعوته إلى الله تعالى و يتتبع خطواته في فكره و في تأثير منهاجه في قضايا عصره و قضايا الفكر الإسلامي لوجدنا هذا المنهاج يتكون من المباحث الآتيه:

المبحث الأول : منهاج الداعية المسلم في تفسير القرآن الكريم.

مدخـل

نستطيع أن نستخلص خطوات المنهاج الذي يرتكز عليه الداعية في نفسيره للقرآن الكريم أو شرحه لحديث من أحاديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم سواء أكان ذلك في العقيدة أو الشريعة أو الأخلاق.

و ذلك لدفع دعوى التعارض – إن وجد – بين القرآن الكريم من جهة وبين القرآن الكريم و الحديث الشريف من جهة ثانية.

نستطيع أن نستخلص خطوات منهاج الداعية في المطلبين الآتيين

المطلب الأول : خطوات منهاج تفسير القرآن الكريم

تتلخص هذه الخطوات في :

١- تفسير القرآن الكريم بالقرآن الكريم، فما أجمل في موضع فُصل في موضع آخر، و قبل و بعد كل شئ لابد أن يكون الداعية حافظاً للقرآن الكريم فهو الأساس الركين للداعية.

٢- تفسير القرآن الكريم بسنة سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم، بأقواله و أفعاله و تقريراته و صفاته الخلقية و الخُلقية صلي الله عليه و سلم.

٣- تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة رضوان الله عليهم.

٤- تفسير القرآن الكريم بأقوال التابعين رحمهم الله تعالي.

٥- رد المتشابه من القرآن الكريم إلى المحكم منه.

٦- النظر إلى القرآن الكريم في جملته كوحدة كلية متماسكة.

٧- الإعتماد على اللغة العربية و مشتقاتها.

٨- عدم الأخذ بظاهر اللفظ[١].

٩- الإحاطة بعلوم القرآن الكريم من معرفة :

أسباب النزول، الناسخ و المنسوخ، مشكل القرآن، مبهمات القرآن و الإسرائيليات والموضوعات و الدخيل في القرآن الكريم، شروط المفسر و أدابه[٢] .

١٠- الإحاطة بطرق تخريج حديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم.

لابد للداعية المسلم أن يحيط بطرق تخريج حديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم.

طرق تخريج حديث رسول الله صلي الله عليه و سلم

تنحصر طرق تخريج حديث رسول الله صلي الله عليه و سلم في الطرق الآتية :

أ- التخريج بناء على مطلع الحديث.
ب- التخريج بناء على لفظة من ألفاظ الحديث.
ت- التخريج بناء على الراوي الأعلى للحديث.
ث- التخريج بناء على موضوع الحديث.
ج- التخريج بناء على نوع الحديث.

و إليك هذه الطرق و الكتب الخاصة بكل طريقة بإيجاز نجملها في ما يلي:-

أ- الطريقة الأولى : التخريج بمطلع الحديث

كتب هذه الطريقة كثيرة منها :

---

[١] انظر بالتفصيل منهج الإمام أحمد بن حنبل في الدعوة إلى الله تعالي ص ١٠٨.

[٢] انظر البرهان في علوم القرآن، الإتقان في علوم القرآن، مناهل العرفان في علوم القرآن، اللألئ الحسان، علوم القرآن، جواهر العرفان في الدعوة و علوم القرآن.

١. كتاب الجامع الصغير من حديث البشير النذير، و كتاب فيض القدير بشرح الجامع الصغير.
٢. كتاب الفتح الكبير في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير.
٣. كتاب جمع الجوامع.
٤. كتاب المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهره على الألسنة.
٥. تمييز الطيب من الخبيث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث.

و هناك كتب كثيرة غيرها.

ب- الطريقة الثانية : التخريج بألفاظ الحديث

الكتب المؤلفة في هذه الطريقة :

إن الكتب المؤلفة في هذه الطريقة كثيرة منها على سبيل المثال:

١. المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي.

لقد فهرس هذا الكتاب لألفاظ أحاديث تسعة كتب هي:-

١. صحيح البخاري
٢. صحيح مسلم
٣. سنن الترمذي
٤. سنن أبي دواد
٥. سنن النسائي
٦. سنن ابن ماجة
٧. سنن الدارمي
٨. موطأ مالك
٩. مسند الإمام أحمد، و هو العمدة في هذا الباب.

٢. كتب مؤلفة في هذه الطريقة إجمالاً و هي:

١. فهرس صحيح مسلم الذي وضعه المرحوم الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي.
٢. فهرس سنن أبي دواد الذي وضعه ابن بيومي.

ت- الطريقة الثالثة : التخريج بواسطة الراوي الأعلى

الكتب المؤلفة في هذه الطريقة صنفان:-

١. كتب الأطراف.

٢. كتب المسانيد.

أ- كتب الأطراف منها :-

١. أطراف الصحيحين للحافظ الإمام أبي مسعود إبراهيم بن محمد ابن عيد الدمشقي ت ٤٠٠ هـ.

٢. أطراف الصحيحين للإمام الحافظ خلف بن حمدون الواسطي ت ٤٠١ هـ.

٣. أطراف الكتب الستة للإمام شمس الدين أبي الفضل محمد بن طاهر ابن أحمد المقدسي ت ٥٠٧ هـ.

٤. أطراف السنن الأربع للإمام أبي القاسم على بن أبي محمد الحسن الدمشقي ت ٥٧١ هـ.

٥. تحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، جمع فيه أطراف الكتب الستة و ما يجري مجراها للإمام جمال الدين التاجي أبي الحجاج يوسف بن عبدالرحمن المزني ت٧٢٤ هـ.

٦. إتحاف المهرة بأطراف العشرة (الموطأ) مسند الشافعي، مسند الإمام أحمد، مسند الدارمي، صحيح ابن خزيمة، منتقي ابن الجارود، صحيح ابن حبان، مستدرك الحاكم، مستخرج أبي عوانة، شرح معاني الآثار للطحاوي، و سنن الدارقطني للإمام أحمد بن على العسقلاني الشهير بابن حجر ت ٧٥٢ هـ.

٧. ذخائر الموراث في الدلالة على مواضع الحديث للشيخ النابلسي ت ١١٤٣هـ، جمع فيه أطراف الكتب الستة و الموطأ.

ب- كتب المسانيد و أشملها كتاب مسند الإمام أحمد ين حنبل.

ث- الطريقة الرابعة : التخريج بناء على موضع الحديث

كتب هذه الطريقة كثيرة و تنقسم على حسب موضوع الحديث و هي كالآتي:

١. كتب تخريج أحاديث عامة مثل:-
   ١. كنز العمال في سنن الأقوال و الأفعال للمتقي.
   ٢. منتخب كنز العمال للؤلف نفسه.
٢. كتب تخريج أحاديث كتب معينة :-
   ١. مفتاح كنوز السنة لنفسك.
   ٢. المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار للعراقي.
٣. كتب في تخريج أحاديث كتب فقه مثل :-
   ١. نصب الراية في تخريج أحاديث الهداية للزيلمي.
   ٢. الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر.
٤. كتب في تخريج أحاديث الأحكام مثل :-
   ١. منتقي الأحبار من أحاديث سيد الأخيار لابن تيمية.
   ٢. بلوغ المرام من أدلة الأحكام لابن حجر.
٥. كتب في تخريج أحاديث الترغيب و الترهيب مثل :-
   ١. الترغيب و الترهيب للحافظ المنذري.
   ٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر لابن حجر الهيثمي.
٦. كتب في تخريج أحاديث التفسير :-
   ١. تفسير القرآن الكريم للإمام ابن كثير.
   ٢. الدر المنثور في التفسير بالمأثور للإمام السيوطي.
   ٣. فتح القدير في الرواية و الدراية في علم التفسير للإمام الشوكاني.
   ٤. الكافي الشافي في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر.

٧. كتب في تخريج أحاديث السيرة و الشمائل مثل :-

١. الخصائص الكبري للإمام السيوطي.
٢. مناهل الصفا في تخريج أحاديث الشفا للسيوطي
٣. سيرة الرسول صلي الله عليه و سلم للإمام ابن كثير
٤. سبيل الهدي و الرشاد للإمام الشافي

ج- الطريقة الخامسة : التخريج بناء على صفة ظاهرة في الحديث

كتب هذه الطريقة متعددة و هي كالآتي :

١. مؤلفات في الأحاديث المتواترة مثل :-
   ١. الأزهار المتناثرة في الأخبار المتواترة للإمام السيوطي
٢. مؤلفات في الأحاديث القدسية مثل :-
   ١. الإتحافات السنية في الأحاديث القدسية للشيخ المدني.
   ٢. الأحاديث القدسية للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
٣. مولفات في الأحاديث المشهورة مثل :-
   ١. المقاصد الحسنة للإمام السخاوي
   ٢. كشف الخفا للعجلواني.
٤. مؤلفات في الأحاديث المرسلة مثل :-
   ١. المراسيل للإمام أبي دواد
٥. مؤلفات في الأحاديث الموضوعة مثل :-
   ١. تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة للإمام ابن عراف.
   ٢. المصنوع في معرفة الحديث الموضوع للإمام القاري

أنواع الكتب المؤلفة في الأحاديث الموضوعة:

تنقسم هذه المؤلفات إلى ثلاثة أنواع هي :

النوع الأول : كتب ألفت في الأحاديث المشتهرة و قد تقدم ذكرها

النوع الثاني : كتب ألفت في تراجم الضعفاء و الكذابين مثل :-

١. الكامل في الضعفاء لابن عدي.
٢. ميزان الإعتدال للذهبي.

النوع الثالث : كتب ألفت في الأحاديث الموضوعة و الضعيفة

و تنقسم إلى : -

أ- كتب مرتبة على حسب الموضوعات : -

١. كتاب الموضوعات لابن الجوزي.
٢. كتاب العلل المتناهية لابن الجوزي.
٣. كتاب المنار النيف لابن تيمية.
٤. كتاب اللألئ المصنوعة للسيوطي.
٥. تنزيه الشريعة المرفوعة في الأخبار الموضوعة لابن عراف.
٦. تذكرة الموضوعات.
٧. الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة للشوكاني.

ب- كتب مرتبة على حروف الهجاء مثل :-

١. تذكرة الموضوعات لمحمد بن طاهر المقدسي ت ٥٠٧ هـ.
٢. المصنوع في معرفة الحديث الموضوع لعلي القاري ت ١٠١٤هـ[١].

هذه هي خطوات المنهاج من وجهة نظري التي يتبعها الداعية في تفسيره للقرآن الكريم و كذلك لسنة سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم ليجني الثمرة المرجوة منه و هذا ما سنبحثه في المطلب الثاني

[١] إقتبسنا هذه الطرق و الكتب المؤلفة فيها من كتاب:
"طرق تخريج حديث رسول الله صلي الله عليه و سلم" للدكتور / أبو محمد عبدالمهدي بن عبدالقادر بن عبدالهادي أستاذ الحديث المساعد بجامعة الأزهر نشر دار الإعتصام – القاهرة ج. م. ع فارجع إليه فإنه مفيد.

المطلب الثاني : ثمرة هذا المنهاج

كان للمنهاج السابق وخطواته ثمرات لها أثرها في فكر الداعية المسلم و في قضايا الفكر الإسلامي نجملها فيما يأتي:

١- عدم وقوع تناقض بين آيات القرآن الكريم بعضه ببعض و هي في الوقت نفسه مواجهة دعوي التناقض بين آيات القرآن الكريم.

٢- لا تناقض بين السنة الصحيحة الثابتة و بين القرآن الكريم و آياته " من لم يجمع علوم الحديث وكثرة طرقها و اختلافها لا يحل له الحكم على الحديث ولا الفتيا"[١].

و هي في نفس الوقت مواجهة دعوي وقوع التناقض بين السنة الصحيحة و بين آيات القرآن الكريم.

٣- لا تناقض بين السنة الصحيحة مع بعضها البعض.

و في هذا مواجهة دعوي وقوع التناقض بين نصوص السنة الصحيحة، لأن "التعارض بين الحديثين، قد يكون بحيث يمكن الجمع بينهما بوجه كالناسخ و المنسوخ، فيصار إلى الناسخ و يترك المنسوخ".

و قد يكون بحيث يمكن الجمع ، و لكن لا يظهر لبعض المجتهدين، فيتوقف حتي يظهر له وجه الترجيح بنوع من أقسامه، أو يهجم فيفتي بواحد منهما، أو يفتي بهذا في وقت، و بهذا في وقت[٢].

٤- عدم الوقوع في التشبيه و التجسيم و التعطيل.

و في هذا مواجهة دعوي التشبيه و التجسيم و التعطيل.

٥- تحديد منشأ الدعاوي الباطلة التى تواجه إلى الدعاه بالنسبة للقرآن الكريم و السنة الباطلة.

ويرجع منشأ الدعاوي و فتح أبواب الشرور و الفتن إلى :-

١- رد السنة الصحيحة بالمتشابه من القرآن الكريم أو من السنة الصحيحة.

---

[١] التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الأول ص ٢٤٠

[٢] الباعث الحثيث في اختصار علوم الحديث للحافظ ابن كثير تحقيق أحمد شاكر ص ١٧٥ ط (٣) مكتبة و مطبعة محمد على صبيح و أولاده، القاهرة – مصر، انظر كذلك تأويل مختلف الحديث لأبي محمد عبدالله ابن مسلم بن قتيبة.

٢- جعل المحكم، متشابها لتعطيل دلالته.
٣- الإعتماد على ظواهر النصوص.

و بذلك فتح الباب أمام :

- إنكار السنة
- وقوع تعارض بين آيات القرآن الكريم و بين القرآن الكريم و السنة النبوية الصحيحة.
- الوقوع في التشبيه و التجسيم و التعطيل.

فكان هذا المنهج للداعية المسلم سداً منيعاً لمنشأ الشبه و الدعاوى الباطلة و في الوقت نفسه مواجهة منهجية موضوعية للدعاوى الباطلة نفسها.
وفي الوقت نفسه يعتبر منهاجاً سليماً لتفسير القرآن الكريم و مشاركة فعالة في قضايا العصر و الفكر الإسلامي.
و هذا ما سيتضح لنا فيما بعد.

وبعد أن انتهينا من منهاج الداعية الفكري لتفسير القرآن الكريم و ذكرنا ثمرة هذا المنهاج و تأثيره في قضايا الفكر الإسلامي و غلقه أبوب الشرور و الفتن ، آن الآوان أن نذكر المنهاج الفكري للداعية بالنسبة للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و هذا ما سنبحثه إن شاء الله تعالي في المبحث الثاني.

www.mohamedsayedamer.com

المبحث الثاني : منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

مدخـــل

إذا نظرنا إلى المنهاج الفكري للداعية في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و كذلك ثمرته العملية المرجوة منه سنجد ذلك في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : خطوات منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

خطوات هذا المنهاج تتمثل في :

١- الإلتزام بمنهاج الكتاب و السنة في الدعوة إلى الله تعالي، " ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ".

النحل آية ١٢٥

٢- تحديد صفات من يأمر بالمعروف و ينهي عن المنكر.

ينبغي أن تتحق فيه ست خصال :

أن يكون فقيها، عالما، زاهدا، ورعا، عفيفا، بصيرا بما يأتي بصيرا بما يذر [١] .

٣- تحديد و سائل التغيير:

هذه الوسائل هي :

- التغيير باليد و هو ليس ضرباً بها أو مسكاً بسيف أو سلاح و إنما هو التفريق بين فاعل المنكر و المنكر أو إفساد المنكر ذاته كإفساد الخمرة إذا كانت مكشوفة واستعملت بوضع الملح فيها و ذلك لمن هو أهل لذلك و من صميم تخصصه و عمله، و التغيير باليد ليس بالسيف أو السلاح [٢].

---

[١] المنهج الأحمد جـ ١ ص ٣٤٥ و انظر كذلك من الذي يغير المنكر و كيف؟ د/ محمود محمد عمارة و كذلك كتاب الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر في كتب السنة الصحيحة.

[٢] الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لأبي بكر الخلاص ص ٩٢.

- التغيير باللسان و هذا يكون بالنصيحة.
- التغيير بالقلب و ذلك أضعف الإيمان.

فعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلي الله عليه و سلم يقول "من رأي منكم منكراً فلغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه و ذلك أضعف الأيمان"[1].

و بذلك نكون قد انتهينا من المطلب الأول.

[1] الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لأبي بكر الخلال ص ٩٢.

المطلب الثاني : ثمرة منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر

بعد أن ذكرنا خطوات الداعية في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، لابد لهذه الخطوات من ثمرات و تأثير في قضايا المجتمع و الفكر الأسلامي.

هذه النتائج تجيب على تسأول:

كيفية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر؟

نجمل هذه الثمرات في :

إذا تحقق الخطوات السابقة في الداعية المسلم فهو مهيأ للأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، فلا بد أن يضع في اعتباره الخطوات الآتية كثمرة لمنهاجة الفكري في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر :

١- أن يأمر و ينهي من يريد أن يأمره أو ينهاه بينه و بين نفسه، إلا إذا كان المأمور قد اشتهر بالفسق فلا حرمة له.

٢- أن يأمر برفق و ينهي بلين.

فالناس يحتاجون إلى مداراه و رفق في الأمر بالمعروف بلا غلظة إلا رجلا مباينا معلنا بالفسق فيجب عليك نهيه و إعلانه، لأنه ليس لفاسق حرمة، فهذا لا حرمة له [١]، و إذا كان عكس ذلك فـ "مره بينك و بينه" [٢].

٣- أن لا يغضب الداعية الآمر ولا ينتصر لنفسه، بل يغضب و ينتصر إذا ارتكبت حرمات الله تعالي.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "ما خُير رسول الله صلي الله عليه و سلم بين أمرين قط إلا أخذ أيسرهما، مالم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه".

---

[١] الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ص ٩٧

[٢] المرجع السابق نفسه ص١.

و ما أنتقم رسول الله صلي الله عليه و سلم لنفسه في شئ قط، إلا أن تنتهك حرمة الله، فينتقم لله تعالي[1].

لقد سئل الإمام أحمد رضي الله عنه عن الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر كيف ينبغي أن يأمر؟

قال "يأمر بالرفق و الخضوع، و إن أسمعوه ما يكره لا يغضب فيريد أن ينتصر لنفسه"[2].

٤- إذا كان الآمر قادرا على الأمر و النهي و تحمل الآذي وكان ذلك من اختصاصه فلا يرفع الأمر للسلطان.

فإذا لم يقدر على الأمر و النهي ولم يتحمل الأذي ولم يكم من اختصاصه فعليه أن يرفع الأمر إلى أهل الإختصاص، أي السلطان أو نائبه في الحالات الآتيه :

- إن وجد السلطان يقيم الحد لا يزيد ولا ينقص، رفع الأمر إليه.
- إن وجد السلطان لا يقيم الحد نهائياً أو ينقص في مقداره أو يزيد فيه، فلا يرفع الأمر إليه.

"و أن علمت أن السلطان يقيم عليه الحد فارفعه[3] و إن زاد الحد المحدد لا ترفعه للسلطان يتعدى عليه "[4]. فمدار رفع الأمر للسلطان هو تحقيق العدل من عدمه.

- فإذا أقام السلطان الحد الشرعي أو التعزير بلا زيادة أو نقصان فهذا هو العدل بعينه، عندئذ يرفع الأمر إليه ليزدجر العصاه و يبتعدوا عن فعل المنكرات.
- فإذا زاد السلطان و ضرب فاعل المنكر أزيد من حده الشرعي المحدد لجريمته سواء مات أو لم يمت فاعل المنكر، فهذا هو الظلم بعينه و قد يعطي صورة سيئة على ظلم الحاكم و عدم التزامه بالحد الشرعي المحدد.

---

[1] متفق عليه انظر صحيح البخاري جـ٦/ ٤١٨، الإمام مسلم حديث رقم ١٣٢٧ بتحقيق محمد فؤاد عبدالباقي.

[2] الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ص ١٠٢.

[3] الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ص ١٠٤.

[4] المرجع السابق نفسه / ١٠٤.

- أما إذا رفع الأمر للسلطان و خفف من الحد لأمر ما – فهذا يعطي عدم إلتزامه بالحد الشرعي. و في الوقت نفسه يعطي فاعل المنكر دفعة قوية لإرتكاب المنكر، لأنه وجد السلطان يخفف عنه أو يعفو عنه.

ففي هذه الحالة و التى قبلها لا يرفع الأمر للسلطان و في الوقت نفسه عدم ترك فاعلى المنكر يفسدون في الأرض بل يتولي المجتمع مسئوليته الجماعية في مقاطعة فاعلي المنكر، لا يخاطبونهم و لا يؤاكلونهم و لا يشترون منهم و لا يبيعون لهم و يقاطعونهم مقاطعة سلمية شاملة ولا يستخدمون أسلوب العنف و القوة و البطش لأنه يؤدي إلى ضرر أخطر من خطر فاعلي المنكر، فلقد قاطع رسول الله صلي الله عليه و سلم الثلاثة الذين تخلفوا و أمر الصحابة بمقاطعتهم دون استخدام العنف و القوة معهم[1].

و اسلوب المقاطعة أسلوب فعال لمواجهة و القضاء على المنكرات و أصحابها.

٥- استمرارية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لوأد الفتنة في مهدها.

لابد من اسمترارية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر للقضاء على البدع المنتشرة و مواجهة الإنحرافات في المجتمع و القضاء على رأس الشيطان أولاً بأول.

فالأمر بالمعروف و النهي عن المنكر أداه هامة من أدوات الضبط الإجتماعي لضبط حركة المجتمع لتتواكب مع وحي السماء و هو في الوقت نفسه وسيله مهمة من وسائل التنظيم الإجتماعي و ذلك لتنظيم حركه المجتمع لتنتظم حركته مع بعضه البعض، فلا تناقض ولا إلتواء ولا إنحراف فيها بل حركة إيجابية ربانية متوافقة مع وحي السماء.

و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر هو العين الحارسة لوقاية المجتمع من شر الآفات و الحص الحصين لمواجهتها و القضاء عليها.

[1] انظر تفسير قوله تعالي "وعلى الثلاثة الذين خلفوا. . ." التوبة ١١٨، تفسير ابن كثير جـ٢ ص ٣٩٦.

فعن حذيفة رضي الله عنه عن النبي صلي الله عليه و سلم قال : "و الذي نفسي بيده بيده لتأمرن بالمعروف و لتنهون عن المنكر، أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم"[1].

و الناس لابد لهم من استمرارية الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر لأنهم "يحتاجون إلى العلم مثل الخبز و الماء، لأن العلم يحتاج إليه في كل ساعة و الخبز و الماء في كل يوم مرة أو مرتين"[2].

و في هذا نجاة للآمرين و للمأمورين و إلا هلكوا جميعا فعن النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلي الله عليه و سلم قال : " مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا"[3].

هكذا بينا خطوات منهاج الداعية في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و الثمرة التي تحققت من وراء التزامه به.

وبعد أن بينا منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، آن الآوان أن نتكلم عن منهاج الداعية الفكري في المناقشة، و هذا ما سنبحثه إن شاء الله تعالي في المبحث الثالث.

---

[1] رواية الترمذي و قال حديث حسن ت (٢١٧٠) و له شاهد آخر عليه يقوية من حديث ابن عمرو بخر عن أبي هريرة انظر مجمع الزوائد ٢٦٦١٧.

[2] المنهج الأحمد جـ١ ص ٢٨٨.

[3] صحيح البخاري جـ ٩٤/٥

المبحث الثالث : منهاج الداعية في المناقشة

إن الخطوات التي يجب أن يتبعها الداعية في المناقشة تحدد في :

المطلب الأول : خطوات منهاج الداعية في المناقشة

تتلخص هذه الخطوات في :

١- تحديد و تعيين مصادر منهاجه و هي الكتاب و السنة.

٢- تحديد المنهاج الفكري في تفسيره للقرآن الكريم و هذا بيناه في المبحث الأول من هذا الفصل.

٣-تحديد المنهاج الفكري لتفسيرة للسنة الصحيحة و عدم تعارضها مع بعضها البعض و عدم تعارضها مع الكتاب، و هذا بيناه في المبحث الأول من هذا الفصل.

٤- تحديد المنهاج الفكري للداعية في الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر، و هذا بيناه في المبحث الثاني من هذا الفصل.

٥- تحديد منهاج وخطوات من يناقش الداعية:

و هذه الخطوات تتحدد في :

١- الإستدلال بآيات معينه في غير مجالها، لأثبات دعواهم و هذا ما سيتضح لنا فيما بعد.

٢- الإعتماد على إثارة أسئلة هي من المغاليط في بابها.

٣- الإعتماد على معاني الكلمات العربية، يحرفون معناها الصحيح أو ثني النص على حسب ما يريدون.

تلك هي خطوات منهاج المناقشة.

المطلب الثاني : ثمرة هذا المنهاج وأثره

تجلت ثمرة هذا المنهاج و أثره في :

١- تحديد خطوات منهاج من يناقش الداعية و يتجلي ذلك في :

- تحديد شبهة المناقش أو دعواه و دليله
- تحديد القاعدة التي سيناقش بها الداعية هذه الدعوى أو الشبهة
- مناقشة الدعوي أو الشبهة من جميع جوانبها للقضاء عليها و دحضها.

٢- بيان محك الخطأ في دعواهم المثارة لإثارة العامة و كشف أغاليطها.

٣- بيان وجه الصحة في معاني الكلمات العربية من مصادرها الأصلية كلسان العرب، تاج العروس، معجم مقاييس اللغة، القاموس المحيط، مفردات الراغب الأصفهاني، معجم ألفاظ القرآن الكريم لمجمع اللغة العربية و غيرها.

٤- تحديد منشأ الخطأ في الفكر.

و يرجع ذلك إلى :

- رد السنة الصحيحة بالمتشابه من القرآن الكريم أو من السنة الصحيحة.
- جعل المحكم متشابهاً أو رد المحكم إلى المتشابه ليعطوا دلالته أو يؤلونه على حسب هواهم.
- الإعتماد على ظواهر النصوص.

٥- تحديد الخطورة و الغاية من فكرهم هذا ، حدد منهاج الداعية الفكري للمناقشة ما أدي إليه فكر المنحرفين من أثر خطير تجلي في :

- إنكار السنة الصحيحة – على رأي هؤلاء.
- وقوع التعارض بين آيات القرآن الكريم على حسب فهمهم.
- قضية الصفات و خلق القرآن و ما أديا أليه.
- التشبيه و التجسيم و التعطيل.

٦- إيجاد المنهج الفكري الإسلامي الصحيح كبديل للمنهاج الفكري المنحرف و تجلي هذا فيما ذكرناه في هذا المبحث.

٧- مناقشة قضاياهم المثارة و مواجهتها مع إيجاد البديل لها و هذا ما سيتضح لنا في المبحث الثالث إن شاء الله تعالي.

٨- الإرشاد إلى الكتب و المصادر الموثوق بها و الصحيحة [١]

وبعد أن أنتهينا من البحث الثالث.

هيا بما إلى المبحث الرابع و الأخير في هذا الفصل

---

[١] انظر في هذا :

- القرأن الكريم و تفسيره.
- كتب السنة الصحيحة و شرحها.
- كتب أصول الفقة، كتب الفقه؟.

انظر للدلالة على هذه الكتب بالتفصيل.

١- ثقافة الداعية د. يوسف القرضاوي.

٢- تدريس الدين.

٣- كيف ندعو الناس.

٤- منهج البحث في العلوم الإسلامية.

٥- قواعد المنهج السلفي.

٦- الإسلام تعقل و استنباط.

٧- القرآن و المنهج العلمي المعاصر.

٨- إسلامية المعرفة.

و غيرها و هو كثير وكثير و لكن لا يتسع المقام هنا لذكره.

المبحث الرابع : منهاج الداعية الفكري في التدريس

يتجلي منهاج الداعية الفكري في التدريس في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : خطوات الداعية في التدريس

تتجلي هذه الخطوات في :

١- أن يكون التحديث من كتاب و بالتملية حتي لو كان الداعية ذا حافظة قوية و ذكاء سيال لضمان الدقة و عدم النسيان و الإحاطة بموضوع الدرس.

"لاَ تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ" القيامة آية ١٧:١٩

يقول إبراهيم بن خالد "كنا نجالس أحمد بن حنبل فيذكر الحديث و نحفظه و نتقنه، فإذا أردنا أن نكتبه قال : الكتاب أحفظ شئ فيثبت و يجئ بالكتاب".

٢- أن يكون التحديث – التدريس – على حسب متطلبات الواقعة أو الحادثة و الجلسة التي يجلس فيها الإمام الداعية، فهو لا يفرض علما معيناً، ولا يفرض مسائل افتراضية غير واقعة.

٣- إسناد العلم إلى أهله، فلابد من ذكر المصدر الذي استقي منه علمه، لأن "طلب إسناد العلوم من الدين"[١].

و الحكمة من ذكر سند العلم ظاهره القضاء على الوضع في الحديث و الوعظ القصصي الذي لا أساس لصحته و كذلك مواجهة الروايات المختلفة و التناقض المدعي بين السنة بينها و بين بعضها وبين السنة الصحيحة و القرآن الكريم، و يقول الإمام أحمد بن حنبل "كنا نري السكوت عن هذا – الإسناد – قبل أن يخوض فيه هؤلاء، فلما أظهروه لم نجد بدأ من مخالفتهم"[٢].

---

[١] التاج المكلل ص ٢٤.

[٢] التاج المكلل ص ٢٢.

فأياك أخي الداعية " أن تتكلم في مسألة ليس لك فيها إمام" [1]، ولا تحدث إلا من كتاب[2].

٤- لابد أن يكون الخط الذي يكتبه الداعية واضحا ليسهل قراءة العلم على طلبته و ليس دقيقا لا يرى " لأن الخط الدقيق – الرفيع – الذي لا يرى – غالباً ما يخون الإنسان[3]، أي إذا عاد إليه مرة أخرى لا يستطيع قراءته و إذا قراءه قراءه بصعوبة فتضيع الفائدة".

٥- لابد من الحفظ – كلما أمكن – مع الكتابة و ذلك ليحفظ العلم في الصدور و السطور، أما إذا كان القرآن الكريم فلابد أن يحفظه الداعية.

٦- يتأسي الداعية المسلم في جلسته للتدريس بجلسه سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم، فلقد كان رسول الله صلي الله عليه و سلم يجلس "جلسة المتخشع القرفُصاء" إلا في الصلاة .

و بعد أن انتهينا من خطوات منهاج الداعية المسلم في التدريس يعرج بنا الحديث إلى:

---

[1] المناقب ص ١٧٨.

[2] تهذيب الأسماء و اللغات جـ١ ص ١١١ .

[3] انظر تدريب الراوى جـ١ ص ٧١ بتصرف شديد.

المطلب الثاني : ثمرة المنهاج

تتجلي ثمرة منهاج الداعية في تدريسه فيما يأتي :

١- العناية بمظهره الخارجي :

ينبغي على الداعية أن يعتني أشد العناية بمظهره الخارجي من نظافة ثوبة و تعهده لشعر رأسه ونظافة جسمه.

٢- أن يكون مهاباً غير ذليل لأحد فلا يخضع لأحد إلا الله تبارك و تعالي.

٣- أن يسود مجلسه الوقار والسكينة مع تواضع واطمئنان فلا يسود مجلسه شئ من أمر الدنيا من مزاح ولعب ولهو.

٤- لابد أن يكون الداعية ثابتاً ورزيناً لا يتكلم إلا إذا طلب منه الكلام و إذا تكلم لا يكثر من كلامه و يكون كلاماً مركزاً موضوعياً مرتباً منسقاً، لا تحركه الأحداث بل يصبر عليها و يأخذ منها العبرة و العظة لتكون زاداً له في تبليغ دعوته.

٥- ابتغاء الأجر و الثواب من الله وحده.

٦- القدوة الصالحة لغيره و أن يضع أمامه سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم "لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً".

الآحزاب آية ٢١

وبعـد :

فهذا هو المنهاج لفكري للداعية بأبعاده الأربعة و بأصوله الثابتة :

- منهاج تفسير القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة.
- منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر.
- منهاج المناقشة.
- منهاج التدريس.

هذا هو المنهاج الفكري للداعية و الحقيقية أنه منهاج واحد ذو أبعاد أربعة رئيسية و تعددت كلمة منهاج أو تجُمع "مناهج" على حسب تنوع الخطوات التي تدخل في المنهاج و تعدد الأصول المتعلقة بالمنهاج.

هذا المنهاج بأبعاده الأربعة للداعية المسلم.

له تأثير في قضايا العصر و الفكر الإسلامي و إذا كنا قد قننا القواعد الفكرية للمنهاج و أصلنا الأصول الفكرية لمنهاج الداعية و أسسنا الأسس الفكرية للداعية المسلم التي سينطلق منها ليؤثر في قضايا العصر و الفكر الإسلامي.

فلابد أولاً من التصور و قد وضعناه و يترتب على التصور السلوك و الثمرة و التطبيق و هذا ما سنبحثه بإذن الله في الفصل الثالث.

و يشتمل على:

مدخل

و المباحث الآتية:

المبحث الأول : قضايا الإسلام و الإيمان

و يشتمل على مدخل و المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : قضية الإسلام و الإيمان

المطلب الثاني : قضية أفعال الإنسان – العباد –

المبحث الثاني : قضايا التكفير و الجاهلية المعاصرة

و يشتمل على مدخل و المطلبيين الآتيين :

المطلب الأول : قضية التكفير

المطلب الثاني : قضية الجاهلية المعاصرة

المبحث الثالث : قضايا الكتاب و السنة

و يشتمل على مدخل و المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : قضية التعارض بين آي القرآن الكريم

المطلب الثاني : قضية إنكار السنة

www.mohamedsayedamer.com

مدخـــل

إن المنهاج الفكري للداعية آثاراً بعيدة المدى يؤثر في قضايا عصره، يدلي بدلوه في قضايا الفكر الإسلامي و يبين رأيه بصراحة و بوضوح وجلاء في قضايا الفكر الإنساني المثارة.

إن تأثير المنهاج الفكري للداعية جد خطير و له أبعاده الزمانية و المكانية و الفكرية ذات المغزي الدقيق والعميق بعيد المدي.
و إذا كنا لا نستطيع حصر هذا المدي بكل أبعاده و عمقه فأننا سنذكر نماذج من تأثير منهاج الداعية الفكري في المباحث الآتية.

المبحث الأول : قضايا العقيدة

مدخل :
إن قضايا العقيدة كثيرة و متنوعة و لكننا سنتناول في هذا المبحث قضيتين فقط في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول : قضية الإسلام و الايمان

إن قضية الإسلام و الأيمان من المسائل التي جري حولها الخلاف و أثارتها الفرق المختلفة كالجهمية والمعتزلة و الخوارج.
فالجهمية : يرون أن الإيمان هو المعرفة و إن لم يصحبها عمل و إن لم يصرحوا بوجوب الإذعان.

و المعتزلة يرون أن الأعمال جزء من الإيمان بحيث إن من يرتكب الكبائر لا يكون مؤمناً و إن اعتقد بالوحدانية و شهد أن محمداً عبده و رسوله و لكنه لا يكون كافراً بل في منزلة بين المنزلتين.

و الخوارج في جملتهم قالوا : إن العمل جزء من الإيمان بحيث إن مرتكب المعاصي لا يكون مؤمناً بل يكون كافراً.

بعد أن ذكرنا آراء الفرق في هذه القضية نذكر آراء الأئمة الأربعة فيها :

- الإمام أبو حنيفة يري أن الإيمان هو الإعتقاد الجازم والإذعان مع وجود إمارة حسية تدل على ذلك الإعتقاد، و هي النطق بالشهادتين ولا يعد العمل جزءا من الإيمان و ينظر إلى الإيمان كحقيقة مجردة فإذا وجدت فلابد أن تكون كاملة، وعليه فلا يقبل الإيمان عنده الزيادة و النقصان، فإيمان أبي بكر كإيمان سائر الناس، ولكنه يفضل عليهم بالعمل وبشهادة النبي صلي الله عليه و سلم له بالجنة، لأن تفاوت المؤمنين في الأقدار – عنده – بعد ذلك بكون بالعمل و الأخذ بالأوامر واجتناب النواهي.

- يري الإمام مالك : أن الإيمان هو التصديق و الإذعان، و لكنه يزيد، لأن القرآن صرح بأن بعض الذين آمنوا قد ازدادوا إيمانا و كان يقول – أيضا – إن الإيمان ينقص و لكنه وجد القرآن الكريم صرح بأنه يزيد فصرح بزيادته ورجع عن نقصانه[1].

ولست في دراسة مقارنة ليتبين لنا أي الآراء السابقة أقرب إلى الكتاب و السنة فهذه دراسة لها مجالها.

و لكننا على حسب المنهاج الفكري للداعية – المذكور – سابقا : "أن الإيمان قول و عمل ونية وتمسك بالسنة ، و الإيمان يزيد و ينقص و يستثني في الإيمان من غير أن يكون لشك إنما هو سنة ماضية على العلماء، فإذا سئل الرجل : مؤمن أنت؟ فإنه يقول : أنا مؤمن إن شاء الله ومؤمن أرجو أو يقول : آمنت بالله و ملائكته و كتبه و رسله"[2].

" و من زعم أن الإيمان قول بلا عمل فهو مرجئ، و من زعم أن الإيمان هو القول و الأعمال فشرائع فهو مرجئ، و من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص فقد قال بقول المرجئين، و من أنكر الأستثناء في الإيمان فهو مرجئ، و من زعم أن إيمانه كإيمان جبريل و الملائكة فهو جهمي"[3].

---

[1] انظر ابن حنيل – حياته و عصره - آراؤه ص ١٤٢ بتصرف.

[2] كتاب السنة ص ٥،٦

[3] كتاب السنة ص ٦

و في الحقيقة أري بأن رأي الإمام أحمد بن حنبل هو أقرب إلى المنهاج الفكري للداعية و هو في الوقت نفسه تطبيق لمنهاج الكتاب و السنة، لأنه جعل السنة مفسره للقرآن الكريم و أخذ منهاجة من النصوص و هي:

الكتاب و السنة و الصحابة و التابعيين دون الإعتماد على العقل أو الإجماع و القياس.

نستطيع أن نستخرج رأى الإمام أحمد في الإسلام و الإيمان على حسب المنهاج الفكري للداعية في النقاط الآتية :

١- صفة المؤمن من يقول "آمنت بالله و ملائكته ورسله"[١].

صفة المؤمن من أهل السنة و الجماعة من "شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له و أن محمداً عبده و رسوله، و أقر بجميع ما أتت به الأنبياء و الرسل، وقلبه على ما ظهر من لسانه ولم يشك في إيمانه"[٢].

٢- الإيمان قول و عمل و نية و تمسك بالسنة.

٣- هناك فرق بين الإسلام و الإيمان – إذا اجتمعا.

سأل الميموني يوماً الإمام أحمد فقال له : " أبا عبدالله : نفرق بين الإسلام و الإيمان ؟ قال : نعم، قال : بأي شئ تحتج؟

قال : عامة الأحاديث تدل على ذلك، ثم قال – لا يزني الزاني و هو مؤمن – و قال الله تعالي : "قالَتِ الأعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا ".

قال الإمام أحمد بن حنبل : لو لم يجئنا في الإيمان إلا هذا كان حسنا[٣].

---

[١] المناقب ص ١٦٥.

[٢] المناقب ص ١٦٥.

[٣] المنهج الأحمد جـ ١/ ١٧٠.

بناء على هذا :

لا يخرج الإنسان من كمال الإيمان إلا إذا فعل المعصية ولا يخرج الإنسان من الإسلام إلى الكفر إلا إذا أشرك أو جحد فريضة مثل الصيام.

يقول المرحوم الشيخ محمد أبو زهرة "إن الإمام أحمد يشير – بهذا إن حصل العصيان - يكون الشخص مسلما ولا يسمي مؤمنا، و هنا نجده يتقارب مع المعتزلة و لكنه سرعان ما يبتعد عنهم، لأنهم يرون أنه يموت عاصياً مخلداً في النار، و أحمد يفوض أمره إلى ربه فإن شاء عفا عنه و إن شاء عذبه و بهذا تكون المحاجزات قوية بينه و بين المعتزلة و من يقاد بهم"[1].

و في هذا يقول الإمام أحمد : و أصحاب الذنوب و الخطايا – إن ماتوا عليها و لم يتوبوا – فأمرهم إلى الله أن شاء غفر لهم، لأن الله يقول " إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاء "[2].

٤- الإيمان يزيد و ينقص :

يقول محمد بن الحسين بن شقيق : سألت أبا عبدالله أحمد بن حنبل عن الإيمان في معني الزيادة و النقصان فقال : حدثنا الحسن بن موسي الأشيب، حدثنا حماد بن سلمة عن أبي جعفر الخطمي عن أبيه عن جده عمر بن حبيب قال : الإيمان يزيد و ينقص، قيل و ما زيادته و نقصانه ؟

فقال : إذا ذكرنا الله فحمدناه و سبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا عنه و نسينا و ضيعنا فذلك نقصانه"[3].

---

[1] ابن حنبل ص ١٤٣

[2] المنهج الأحمد جـ ١ ص ٢٦٥ و الآية سورة النساء ١١٦.

[3] المنهج الأحمد جـ١ / ٢٤٦.

٥- الإستثناء في الإيمان :

إن الإنسان لا يقطع لنفسه بالإيمان بل يقول : أنا مؤمن إن شاء الله، فلقد استثني أبو السعود وغيره، و هو قول الثوري استثناء على غير شك مخافة و احتياطاً تطبيقا لقوله تعالي " لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ . . ."[١].

٦- الإيمان القلبي غير مخلوق :

إن الإيمان القلبي غير مخلوق، و أما زيادة الإيمان و نقصانه بطريق الجوارح فهو مخلوق.

سئل الإمام أحمد في الإيمان مخلوق أم لا ؟

فقال : "أما ما كان من مسموع فهو غير مخلوق، و أما ما كان من عمل الجوارح فهو مخلوق.[٢].

و بذلك نكون قد انتهينا من المطلب الأول.

[١] المرجع السابق نفس جـ ٢٢٦/١ و الآية سورة الفتح
[٢] المرجع السابق نفسه جـ٢٦٥/١.

المطلب الثاني : قضية أفعال الأنسان – قضية القدر و أفعال العباد

يجب على العبد أن يؤمن ب القضاء خيره وشره و أن يفوض الأمر تفويضاً مطلقاً إلى الله وحده.

إن أفعال العباد كلها مقدرة عند الله وحده ولا يستطيع العبد أن يخلق فعله بنفسه، لأن الله عز وجل قضي قضاءه على عباده لا يجاوزن قضاءه، بل كلهم صائرون إلى ما خلقهم إليه، واقعون فيما قدّر عليهم لا محالة، و هو عدل عز وجل.

و الزنا و السرقة و شرب الخمر و قتل النفس و أكل المال الحرام و الشرك بالله عز وجل و الذنوب و المعاصي كلها بقضاء الله و قدر من عنده من غير أن يكون لأحد من الخلق على الله حجة، بل لله عز وجل – الحجة البالغة على خلقه، لا يسأل عما يفعل و هم يسألون[1].

و في هذا رد على القدرية، بأن العبد خالق لأفعاله و أن الله لا يعلم ما يفعله، لا يعلم ما يفعل العباد حتي يفعلوا، و أن الله تعالى يقع في ملكه ما لا يريده، " فمن زعم أن الله عز وجل شاء لعباده الذين عصوا الخير و الطاعة و أن العباد شاءوا لأنفسهم الشر و المعصية و يعملون على مشيئتهم، فقد زعم أن مشيئة العباد أغلب من مشيئة الله عز وجل، فأي افتراء على الله أكبر من هذا[2].

و في هذا رد على المعتزلة لقولهم بالإستطاعة للعبد لأن "الإستطاعة لله و القوة لله ما شاء الله كان و مالم يشأ لم يكن" ليس كما يقول المعتزلة[3].

وليس معني الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شره والتفويض المطلق لله و التسليم له أن يشتم من ورائها بأن العبد يكون مجبوراً و مكروهاً على فعل المعصية – لا –

ولكن علم الله سبحانه الأزلي علم بما سيفعله العبد.

و من هنا لا تأثير للعلم في فعل المعصية، لأنه صفة انكشاف و ليس صفة تأثير، لأن علم الله عز وجل ماض في خلقه بمشيئة منه و من زعم أن قتل النفس ليس بقدر من الله فقد زعم أن المقتول مات بغير أجله، و أي كفر أوضح من هذا؟

---

[1] السنة ٧

[2] السنة ٨

[3] المنهاج الأحمد جـ١/١٦٧.

بل كل ذلك بقضاء الله و قدره، و كل ذلك بمشيئة الله في خلقه و تدبيره فيهم و ما جري من سابق علمه فيهم و هو العدل الحق الذي يفعل ما يريد، و من أقر بالعلم لزمه الإقرار بالقدر والمشيئة[1].

من الروايات السابقة نستطيع أن نستخلص منهاج القدر و أفعال العباد على حسب المنهاج الفكري للداعية المسلم في :-

١- الإيمان بالقضاء و القدر خيره و شره و التفويض الكامل لله.

٢- إن الله لم يقع في ملكه إلا ما أراده وعلمه.

٣- إن العبد لا يخلق أفعاله من أجل ألا يقع في ملك الله ما لا علم له به.

٤- إن العبد ليس مكرهاً على ما يفعله و لكن علم الله قد أحاط به و علم ما سيفعله و الله لا يرضي لعباده الكفر.

فمن جحد العلم – علم الله – إذا قال : إن الله لا يعلم أو لم يكن عالماً حتي خلق فعلم، فجحد علم الله فهو كافر[2].

و هذا المنهج مشتق من الكتاب و السنة ولا مردة إلى المناقشة العقلية المجردة فلقد أجمع سبعون رجلا من التابعيين و أئمة المسلمين و فقهاء الأمصار على أن السنة التي توفي عليها رسول الله صلي الله عليه و سلم أولها الرضي بقضاء الله و التسليم لأمره و الصبر تحت حكمه، و الأخذ بالقدر خيره و شره و ترك المراء و الجدال و الخصومات في الدين[3].

وبذلك نكون قد انتهينا من المبحث الأول.

---

[1] السنة ٧،٨

[2] المناقب ١٧٦

[3] المنهج الأحمد جـ١/١٢١

المبحث الثاني : قضايا التكفير و الجاهلية المعاصرة

سنتناول قضايا هذا المبحث في المطلبين الآتيين:

شالمطلب الأول : قضية التكفير

إن هذه القضية كانت و مازالت موضع جدال و اختلاف دام طويلاً – على الرغم – أن الإسلام قطع دابرها و المفروض ألا تعرض على الساحة.

- الخوارج تعتبر مرتكب الكبيرة كافراً.
- المعتزلة يعدونة مسلماً وغير مخلد في النار و هو في منزلة بين المنزلتين و هو غير مخلد في النار.
- المرجئة يقولون أن الإيمان لا تضر معصية معه، كما لا ينفع مع الكفر طاعة.
- الأئمة الثلاثة، سيدنا مالك، و أبو حنيفة، و الشافعي يعتبرونه مؤمناً و يتركونه لأمر الله، فإن شاء عفا عنه و إن شاء عذبه[١].

وهذا هو الحق الذي نميل إليه و نزيد :-

لا تشهد على أحد من أهل القبلة أنه في النار لذنب عمله و بكبيرة أتاها إلا أن يكون في ذلك حديث فتروي الحديث كما جاء على ما روي، فصدق به و نعلم أنه جاء ولا تنقض الشهادة[٢].

من هذا النص نري أن مرتكب الكبيرة إن مات عليها و لم يتب فأمره مفوض إلى الله تعالي إن شاء عذبه و إن شاء غفر له لأننا لم نطلع على أمر الله تعالي فيه لأنه "لا يكفر أحد من أهل التوحيد وإن عملوا الكبائر"[٣]. و كف عن أهل القبلة ولا تكفر أحداً منهم بذنب ولا تخرجهم عن الإسلام بعمل إلا أن يكون في ذلك حديث فيروي كما جاء و كما روي و تصدقه و تقبله و نعلم أنه كما روي نحو ترك الصلاة وشرب الخمر و ما أشبه ذلك، أو يبتدع بدعة ينسب صاحبها إلى الكفر والخروج عن الإسلام فاتبع الأثر في ذلك ولا تجاوزه[٤].

---

[١] انظر ابن حنبل ١٤٤ بتصرف شديد

[٢] السنة ٩

[٣] المناقب ١٧٩

[٤] السنة ١٠

أما إذا تاب مرتكبها توبة نصوحاً بشروطها الصحيحة إذا كان قد ارتكب كبيرة في حق من حقوق الله وأعاد الحق إلى أصحابه إذا كان حقاً من حقوق العباد، فإن الله يتوب عليه لأنه يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات فـ" من لقي الله بذنب تجب له به النار تائباً غير مصر عليه فإن الله يتوب عليه و يقبل التوبة عن عباده و يعفو عن السيئات[1].

و من ترك الصلاة عامداً متعمداً جاحدا لها و توفي قبل أن يتوب فقد كفر ولا يخرج المسلم عن الإسلام إلا الشرك بالله العظيم أو رد فريضة من فرائض الله جاحداً لها.

وبذلك نكةن قد انتهينا من المطلب الأول.

[1] المناقب ١٦٨

المطلب الثاني : قضايا الجاهلية المعاصرة

بعد أن انتهينا من قضية التكفير نأتي إلى القضية الثانية التي شغلت و تشغل بال الكثيرين و هي قضية الجاهلية المعاصرة و الرأي الصحيح السديد فيها فتصوغ القضية على صيغة سؤال مؤداه:

هل توجد جاهلية معاصرة ؟

سؤال عام خبيث يحتاج إلى تخصيص دقيق و دهاء لماح؟ و إجابة نموذجية قاطعة واضحة لا لبس فيها ولا ابهام و نجيب فنقول :-

أي نوع من جاهلية تريد ؟

فإن كنت تريد : -

أ- الجاهلية العامة المطلقة – عقيدة، شريعة و أخلاقاً – بالنسبة للبشرية كلها و العالم أجمع.

إن كنت تريد هذه الجاهلية:

فقد أنتهت تلك الجاهلية العامة المطلقة ببعثة النبي صلي الله عليه و سلم انتهت زماناً و مكاناً وأناساً و فكراً ببعثه النبي محمد صلي الله عليه و سلم.

ب- إن كنت تريد: الجاهلية الخاصة المحدودة :

لابد من أسئلة هنا لتحديد تلك الجاهلية و أنواعها.

هل توجد؟ نعم توجد.

أين توجد هذه الجاهلية الخاصة المحدودة؟

قبل أن نجيب لابد أن نحدد نوع الجاهلية الخاصة المحدودة التي تريدها؟

١. هل هذه الجاهلية الخاصة المحدودة جاهلية إعتقاد؟
٢. هل هذه الجاهلية الخاصة المحدودة جاهلية سلوك؟

إذا كانت الجاهلية الخاصة المحدودة جاهلية إعتقاد :

فهي موجودة الآن و محصورة في :-

١. اليهود المعاصرين
٢. النصاري المعاصرين
٣. اللادينين و الشوعيين و من على شاكلتهم
٤. البوذيين ومن على شاكلتهم
٥. بعض المسلمين الذين ينكرون معلوماً من الدين بالضرورة بعد علمهم و تعمدهم إنكاره و بعد بلوغهم و اختيارهم و إبلاغهم به كمن ينكر نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه و سلم علانية عامداً متعمداً، و أن القرآن الكريم ليس من عند الله، و أن الصلاة غير مشروعة نهائياً فهذا كفر صريح يخرج عن الملة.

و تلك هي الجاهلية الإعتقادية الخاصة المحدودة و المحددة.

أما إذا كانت الجاهلية الخاصة المحدودة و المحددة جاهلية سلوك : فمن الممكن إذا تغلبت شهوة المسلم و شيطانه عليه أن يتصف بها فرد من المسلمين.

أي توجد تقاليد جاهلية سلوكية بدعية دخيلة في المجتمع الإسلامي ولا يترتب على وجدوها كفر وفسوق و خروج عن الملة وعدم الحكم على المجتمع كله بأنه مجتمع جاهلي و أنه كافر.

"وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا"

سورة الحجرات بعض آية ٩

سماهما مؤمنين على الرغم من اقتتالهما.

و بالمثل من الممكن أن يسيطر الشيطان على بعض المؤمنين فيزني أو يسرق أو يقتل.

فليس هذا بخروج عن الملة وليس كافراً مادامت العقوبة مقدرة و إلا لو كان كافرا لما وجدت العقوبة الإسلامية لتلك الجرائم، و من هنا تأتي فلسفة العقوبة في الإسلام، و لأن مرتكبها قد آمن إيمان

القمة و هو الإيمان بشهادة أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله فلا نحكم بكفره ولكن بعدم كمال إيمانه.

و هذه القضية الفكرية الخطيرة ، نري المحدثين قد حددوها بدقة وبينوا منهاج مواجهتها باتقان وإحكام ورووا الظمأ فيها.

نري صاحب كتاب فتح الباري في شرح صحيح البخاري يعنون: -

أ- "باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها إلا بالشرك".

عن المعرور قال :-

لقيت أبا ذر بالربدة و عليه حلة على غلامه حلة فسألته عن ذلك ؟

فقال إني سابت رجلا فعيرته بأمه فقال لي النبي صلى الله عليه وسلم "يا أبا ذر أعيرته بأمه إنك امرؤ فيك جاهلية إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم فمن كان أخوه تحت يده فليطعمه مما يأكل وليلبسه مما يلبس ولا تكلفوهم ما يغلبهم فإن كلفتموهم فأعينوهم".

و الغرض من العنوان والحديث هو :-

الرد على من يُكفر بالذنوب كالخوارج و يقول "من مات على ذلك يخلد في النار".

فقصة أبي ذر يستدل بها على أن من بقيت فيه خصلة من خصال الجاهلية سوي الشرك لا يخرج عن الإيمان بها و سواء كانت من الصغائر ام من الكبائر.

و استدل أيضا بالقرآن الكريم على أن المؤمن إذا ارتكب معصية لا يكفر ولا يخرج من الملة، لأن الله تعالي أبقي عليه اسم المؤمن فقال تعالي " وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنْ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ".

ثم قال تعالي.

" إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ "[1].

و أيضاً.

[1] انظر فتح الباري جـ١ ص ٨٤:٨٦ باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها إلا بالشرك

ب- "عنوان" باب ظلم دون ظلم

" وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ "

لا يكفر – أيضا- إذا لم يكن معتقداً بأن دين الله لا يصلح ـ ومنكراً له فإذا اعتقد أن دين الله لا يصلح للعمل به أو لا يعترف به منكراً له فهو كافر و يخرج من الملة[1].

ت- "وأيضا عنوان" كفران العشير و كفر دون كفر.

يعلق صاحب فتح الباري على حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلي الله عليه وسلم قال "أمرت أن أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لا إله إلا الله و أن محمداً رسول الله، و يقيموا الصلاة و يؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دمائهم و أموالهم إلا بحق الإسلام و حسابهم على الله".

يعلق على هذا الحديث بقوله : يؤخذ منه "ترك تكفير أهل البدع المقرين بالتوحيد الملتزمين للشرائع وقبول توبة الكافر من كفره من غير تفصيل بين كفر ظاهر أو باطن".

و إذا كان المحدثون قد حددوا تلك القضية تحديداً قاطعاً وواجهوها بحديث سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم مواجهة حاسمة، فإن الفكر الإسلامي واجهها مواجهة حاسمة أجثتها من جذورها و لم يترك لها أثراً يذكر أن طُبق منهاجه و اتُبعت طريقته.

وتتلخص مواجهة الفكر الإسلامي لهذه القضية فيما يأتي :-

إن الجاهلية تطلق :

أ- إطلاقها زماناً :

فقد انتهي زمن الجاهلية ببعثة النبي صلي الله عليه و سلم، لأن بعثته صلي الله عليه و سلم حد زمني فاصل بين عصر الجاهلية قبل البعثة وزمن الرسالة الممتدة إلى قيام الساعة.

[1] المرجع السابق منه جـ١ ص ٧٧، ٨٣.

إن الإدعاء بإمكان قيام جاهلية عامة مطلقة أو قيام جاهلية عامة خاصة في بلاد المسلمين مع وجود الإسلام هو إدعاء بمستحيل؟ لأن المسلم يعلم علماً يقيناً أن النبي صلي الله عليه و سلم هو خاتم النبيين و أن الله تعالي ارسله للناس كافة.

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ . . ."

الأعراف بعض آية ١٥٨

" وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "

الأنبياء آية ١٠٧

ب- إطلاقها وصفاً :

أما كون الجاهلية وصفاً يلحق شخصاً – ما – فالنبي صلي الله عليه و سلم كما ذكرت سابقا – قد وصف الصحابي الجليل "أبا ذر" بأنه أمرؤ فيه جاهلية.

و الإمام البخاري يعلق على الحديث بقوله :

"المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها إلا بارتكاب الشرك".

فهل يجرؤ أحد أن يقول :-

أن مجتمع المدينة أيام النبي صلي الله عليه و سلم كان مجتمعاً جاهلياً ؟

إن الجاهلية كوصف "كحال" لا يلحق الزمن بعد بعثة النبي صلي الله عليه و سلم و إلى قيام الساعة.

ويترتب على ذلك:-

أن لا تقول بالنسبة للمجتمع الإسلامي "مجتمع جاهلي" أو تقول "زمن جاهلي" او تقول "مجتمع في زمن جاهلي".

لكن :

الجاهلية كصفة، كحال، يمكن أن يلحق فرداً من أفراد المسلمين، فمن الممكن أن تقول : فلاناً جاهلياً، أي في حال الجاهلية، ووصف جاهلي، و كل إنسان جاهليته بحسب ما قبل إسلامه، لأن لفظ الجاهلية يطلق غالباً على :

١- ما قبل البعثة وضابط آخره فتح مكة.

ويدخل فيه : ظن الجاهلية، حكم الجاهلية، تبرج الجاهلية، و حمية الجاهلية.

٢- ويطلق على ما قبل إسلام شخص.

ويدخل فيه قول ابن عباس سمعت أبي يقول في الجاهلية "اسقنا كأساً دهاقا" و ابن عباس إنما ولد بعد البعثة.

ويدخل فيه أن جاهلية الإنسان بحسب ما قبل إسلامه ويصح أن يوصف بها إنسان إن وقع في خلق جاهلي فنقول "فلان جاهلي " أي في حال جاهلية.

فهؤلاء جميعاً يزيد إيمانهم بالطاعة و ينقص بالمعصية ولا يصح مطلقاً أن يوصف مجتمع مسلم بأنه مجتمع جاهلي و أن صلي و صام و حج البيت. . . . إلخ.

و المعصية التي تكفر صاحبها هي الشرك بالله تعالي و جريمة الردة لها شروطها و عقوبتها التي أوجبها الإسلام.

و إذا كان البعض يعتمد على ظاهر بعض آيات من القرآن الكريم لإلحاق وصف الجاهلية بالمجتمع كله و يصفه بأنه مجتمع جاهل و يحكم بكفره.

"كظن الجاهلية، و الحكم بغير ما أنزل الله، وحمية الجاهلية، و تبرج الجاهلية" فإنه قد جانبه الصواب في ذلك لأن :-

١- "ظن الجاهلية" كما ورد في القرآن الكريم في سورة آل عمران آية ١٥٤، يمكن أن يكون وصفاً لظن طائفة من المؤمنين، وصفاً لأناس، و ليس وصفاً لمجتمع من المؤمنين الذين أهمتهم أنفسهم في غزوة أحد و ليس صورة من ظن أهل الجاهلية المشركين.

٢- أما الحكم بغير ما أنزل الله " أَفَحُكْمَ الجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ "

المائدة آية ٥٠

فلابد أن يتحقق المعني الشرعي و هو الخروج عن الملة و شروط من لم يحكم بما أنزل الله منكراً له حاجداً لوجوده راغباً عنه، ويعتقد أن حكم الله ظلم وبعدم صلاحيته مع علمه بأنه حكم الله تعالي وبلوغه و اختياره و إبلاغه به.

و بأن القانون الوضعي الشخصي أحسن من حكم الله تعالي و غير ذلك مما لا يجامع الإيمان والإذعان.

ولم يتحقق هذا كله كان المعني ما قاله ابن عباس رضي الله عنه أنه "ليس بالكفر الذي تذهبون إليه – أنه ليس كفرا ينقل عن الملة – كفر دون كفر".

و هذا الرأي هو ما قاله ابن تيمية حينما :

"جعل من لم يحكم بما أنزل الله" إذا لم تتحق فيه الشروط المذكورة سابقاً فهو من المعاصي التي لا يكفر صاحبها.

يقول ابن تيمة "و أما المعاصي التي ليس فيها حد مقرر ولا كفارة كالذي يخون الأمانة أو من يغش في معاملته أو يشهد الزور أو يرتش في حكمه أو يحكم بغير ما أنزل الله، أو يعتدي أو يلبي داعي الجاهلية.

فهؤلاء يعاقبون تعزيرا أو تنكيلا و تأديبا بقدر ما يراه الوالي على حسب كثرة الذنب في الناس وقلته، و على حسب كبر الذنب و صغره و حال المذنب"[1].

تأمل معي كيف حدد الإمام ابن تيمية المعاصي التي ليس فيها حد مقرر ولا كفارة ولا جزاء محدد عليها و ذكر من بينها الحكم بغير ما أنزل الله و هي تقتصر على الفرد بداهة في تعامله مع غيره.

أما الحاكم و القاضي و المفتي فجزاء حكمهم بغير ما أنزل الله يختلف و يعادل جرمهم في ذلك السعي في الأرض فساداً[2].

إذن من الممكن أن يوصف فرد في المجتمع الإسلامي بأنه جاهلي و من الممكن أن توجد تقاليد جاهلية، كظن الجاهلية، حكم الجاهلية، تبرج الجاهلية، وحمية الجاهلية، لطم الجاهلية، شق الجيوب، و الدعاء بدعوي الجاهلية.

---

[1] السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية ص ١٣٣ ط الشعب.
[2] انظر الجاهلية قديماً و حديثاً أحمد أمين عبدالغفار ص ٢٦٨ بتصرف.

ولكن لا تخرج عن الملة و كفر دون كفر.

فهل يعد ذلك حجة لمتقول ؟

و ما قاله الإمام ابن تيمية قاله الإمام الغزالي في رسالة "أيها الولد" في شرح ما يكفر به و ما لا يكفر به فيقول "اقنع الآن بوصية وقانون".

أما الوصية : فأن تكف لسانك عن أهل القبلة ما أمكنك ما داموا قائلين "لا إله إلا الله محمد رسول الله" غير مناقضين لها، و المناقضة تجويزهم الكذب على رسول الله صلي الله عليه و سلم بعذر أو غير عذر، فإن التكفير فيه خطر و السكوت لا خطر فيه.

و أما القانون : فهو أن تعلم أن النظريات قسمان :

١- قسم يتعلق بأصول القواعد.

٢- وقسم يتعلق بالفروع.

١- وأصول الإيمان ثلاثة :

الأيمان بالله و برسوله و باليوم الآخر و ما عداه فروع.

و اعلم أنه لا تكفير في الفروع إلا في مسألة واحدة و هي :

أن ينكر أصلا ديننا عُلم من الرسول صلي الله عليه و سلم بالتواتر لكن في بعضها تخطئة كما في الفقهيات و في بعضها تبديع كالخطأ المتعلق بالإمامة.

واعلم أن الخطأ في أصل الإمامة و تعيينها و شروطها و ما يتعلق بها، لا يوجب شئ منه تكفيراً، فقد أنكر ابن كيسان أصل وجوب الإمامة ولا يلزم تكفيره.

و أما الأصول الثلاثة و كل مالم يحتمل التأويل في نفسه و تواتر نقله ولم يتصور أن يقوم برهان على خلافه فمخالفته تكذيب محض[١] ، أنه كفر محض.

وبذلك نكون قد ناقشنا في هذه العجالة تلك العقبة الفكرية واحتثثنا جذورها، و بها نكون قد :

[١] القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي جـ١ ص ١٤٤، ١٤٥. تحقيق فضيلة الشيخ محمد مصطفي الجندي، سيدنا الحسين، مصر

١- حصنا إخواننا الشباب الذين تتوارد على أفكارهم تلك القضية الفكرية أو سمعوها من غيرهم، أو قرؤوها ووقفوا حياري حيالها دون أن ينضموا إليها أو يفيقوا منها.

٢- بينا الحق و الصواب للمجتمع عامة و لإخواننا الشباب خاصة.

و إذا بينا ذلك نكون قد قضينا على ما يسمي :

- الجاهلية العامة، فلا توجد جاهلية عامة بعد بعثة النبي صلي الله عليه و سلم.
- تكفير المجتمع ككل.
- لا توجد جاهلية اعتقادية شاملة المجتمع الإسلامي ككل، بل توجد جاهلية اعتقادية فردية لمن أنكر معلوماً من الدين بالضرورة.

و إذا قضينا على قضية التكفير في المجتمع قضينا على ما يسمي :

- إستباحة أموال و دم و عرض المجتمع الكافر
- وقضينا أيضاً على العنف و القوة للوصول لتحقيق هذا الهدف الزائف.
- لابد من مقارعة الحجة بالحجة، و ليست مقابلة الحجة بالعنف واستعمال القوة

إذن فقل بكل ثقة واطمئنان:

لا.

لجاهلية المجتمع المسلم ككل.

لا.

لتكفير المجتمع المسلم و ما يترتب عليها.

وبذلك نكون قد انتهينا من المبحث الثاني.

المبحث الثالث : قضايا الكتاب و السنة

مدخـل:

سنتناول قضايا هذا المبحث في المطلبين الآتيين :

المطلب الأول : قضية التعارض بين آي القرآن الكريم

إذا نظرنا إلى هذه القضية – مجردة عن الزمان – ستجد لها أنصاراً و أعواناً في القديم و الحديث ومازالت و ستظل مادام الصراع و المواجهة بين الحق و الباطل قائماً.

لقد استغل أعداء الإسلام – قديما و حديثا – وجود آيات في القرآن الكريم ظاهرها التعارض – على حسب فهمهم – إستغلوها للتشكيك في أن القرآن الكريم كلام الله و بأنه بشري تمهيداً للقضاء عليه و بالتالي يهدم كل ما بني عليه من تشريع و رسالة و غيرها.

لقد اعتمد هؤلاء على أيات محددة تعد على الأصابع ظاهرها التناقض و لكن الحقيقة غير ذلك، لأنهم لم ينظروا إلى القرآن الكريم كوحدة مترابطة ومتماثلة.

وإن دل تشكيكهم هذا فإنما يدل على أن القرآن الكريم هو الصخرة التي تتحطم عليها كل أغراضهم و أطماعهم، ويدل على ثرائه وعطائه المستمر و على شموخه وقوته و أصالته.

وفي الوقت نفسه يدل على حقدهم الدفين و حسدهم البغيض لأهله و إشاعة البلبلة و التشكيك في إسلامهم عن طريق قرآنهم.

ويدل على أبسط الفروض إن سلمنا به – فرضا – وليس هذا غايتهم على غبائهم الشنيع وجهلهم المطلق بلغة القرآن الكريم وصفات أهل القرآن، فإن القضية أخطر من ذلك بكثير و لها بعد أعمق من هذا.

و لولا الإطالة لذكرت هذه الآيات، الآية تلو الأخري لأفندها طبقاً للمنهج الفكري و لكن ليس هذا مجالها [1] ولكن سأقتصر على مسألة واحدة و هي آيات الرؤية.

لقد ادعي هؤلاء وجود تناقض في القرآن الكريم:

فهم يقولون : إن القرآن الكريم يقول " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ"

سورة القيامة آية ٢٢، ٢٣

وقال في آية أخري " لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الخَبِيرُ"

سورة الأنعام آية ١٠٣

فقالوا كيف يكون هذا ؟

يخبر أنهم ينظرون إلى ربهم في الآية الأولي و في الثانية " لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ " فشككوا في القرآن الكريم وزعموا أنه يتقض بعضه بعضاً[2].

لمواجهة التعارض ذكرنا في المنهج الفكري للداعية في الفصل الثاني، تفسير القرآن بالقرآن ثم ينظر على أنه وحدة متماسكة، ثم يفسر السنة وبناء على المنهج السابق ذكره.

تري قوله تعالي " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ " يعني الحسن و البياض " إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " يعني تعاين ربها في الجنة.

و أما قوله " لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ " يعني في الدنيا دون الآخرة.

وذلك أن اليهود قالوا لموسي عليه السلام : " أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ "

سورة النساء بعض آية ١٥٣

فماتوا و عوقبوا لقولهم " أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً ".

---

[1] انظر كتاب عقائد السلف الآيات كلها و الرد عليها، انظر كذلك الرد على الزنادقة للإمام أحمد بن حنبل، و كذلك تأول مشكل القرآن للإمام غبن قتيبة ط (٢) كذلك كتب علوم القرآن، البرهان في علوم القرآن، الإتقان في علوم القرآن.

[2] الرد على الزنادقة ص ١٣.

وقد سألت مشركوا قريش النبي صلي الله عليه و سلم فقالوا : " أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلاً "

سورة الإسراء بعض آية ٩٢

فلما سألوا النبي صلي الله عليه و سلم هذه المسألة قال الله تعالي : " أَمْ تُرِيدُونَ أَن تَسْأَلُواْ رَسُولَكُمْ كَمَا سُئِلَ مُوسَى مِن قَبْلُ " حين قالوا : " أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ ".

فأنزل الله سبحانه و تعالي يخبر أنه لا تدركه الأبصار، أي لا يراه أحد في الدنيا دون الآخرة فقال : " لاَ تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ " أما في الآخرة فإنهم يرونه، و هذا هو قوله تعالي : " وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ " أي في الآخرة.

فجهة الإختصاص منفكة.

فلا تدركه تعالي الأبصار في الدنيا و تراه في الآخرة.

وبذلك فلا تناقض بين آيات القرآن الكريم و بالتالي بطل ما يترتب على التناقض من التشكيك فيه و عدم الإحتجاج به.

وبذلك نكون قد انتهينا من المطلب الأول

المطلب الثاني : قضية إنكار السنة

إن قضية إنكار سنة سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم و عدم الإحتاج بها جد خطير روج لها بعض الملحدون و يعملون على نشرها و يتدخلون بكل ثقلهم لبثها بين أفراد المجتمع حقداً منهم على الإسلام و حسداً لنبي الإسلام و ظناً منهم القضاء على السنة النبوية المطهرة تمهيداً للوصول للتشكيك في القرآن الكريم – كما ذكرنا – سابقاً – و بالتالي هدم الدين من أساسه على حسب فهمهم، ويمكرون ويمكر الله و الله خير الماكرين، ودعوتهم الواهية تتلخص في أنهم يستعملون الظاهر من القرآن الكريم بدون عمق وروية ويتركون سنة سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم، و لو تمعنوا و تدبروا القرآن الكريم الذين يعتمدون عليه وحده – على حسب فهمهم – لعرفوا منه أن الله سبحانه وتعالي أمر المسلمين بإطاعة رسول الله صلي الله عليه و سلم و أن الله تبارك و تعالي يأمر الرسول صلي الله عليه و سلم بأن يبين للناس ما نزل إليهم " وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكِتَابَ إِلاَّ لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ".

سورة النحل آية ٦٤

إذا نظرنا إلى إدلتهم لصحة دعواهم الباطلة لم نجد لهم دليلاً واحداً ولا حجة واحدة يعتد بها و يعتمد عليها.

إن القرآن الكريم دعوة معنوية لفظية لابد لها من مطبق و مبين ومفسر وشارح لها فكان رسول الله صلي الله عليه وسلم المطبق و المفسر و الوجه السلوكي للقرآن الكريم و المبين له.

إن أحكاماً كثيرة في القرآن الكريم أتت مجملة أو عامة و أحكاماً أخري لم يأت ذكرها صراحة و إن أتت ضمناً و أتت به السنة، لأن السنة قد تستقل ببيان بعض الحكم.

إذن.

من أين نستمد تلك الأحكام؟ و من الذي يبين لنا القرآن الكريم وأحكامه و يفسر لنا ألفاظه؟

أنأخذه من العقل القاصر المحدود؟ هم يريدون ذلك أم نأخذه من الرسول الذي أرسله الله ليبين لنا مراد كلام ربنا ويشرح لنا آيات إلهنا؟

إنها دعوي خبيثة لإنكار النبوة و الرسالة و الرسول و المنهاج، إن الله جل ثناؤه و تقدست أسماؤه، بعث نبيه صلي الله عليه و سلم بالهدي و دين الحق ليظهره على الدين كله و لو كره المشركون.

و أنزل عليه كتاب الهدي و النور لمن اتبعه وجعل رسوله الدال على ما أراد من ظاهره و باطنه وخاصه و عامه و ناسخه و منسوخه، و ما قصد له الكتاب فكان رسول الله صلي الله عليه و سلم هو المعبر عن كتاب الله تعالي الدال على معانيه، شاهده في ذلك أصحابه و من ارتضاه الله لنبيه و اصطفاه له، نقلوا ذلك عنه فكانوا هم أعلم الناس برسول الله صلي الله عليه و سلم.

وبما أخبر عن معني ما أراد الله – عز وجل – من ذلك فكانوا هم المعبرين عن ذلك بعد رسول الله صلي الله عليه و سلم.

يقول جابر بن عبدالله ورسول الله – صلي الله عليه و سلم – بين أظهرنا ينزل عليه القرآن و هو يعرف تأويله و ما عمل به من شئ علمناه[١].

يذكر الإمام ابن القيم جميع الآيات الموجودة فى القرآن الكريم الدالة على وجوب طاعة الرسول – صلي الله عليه و سلم – نقتطف منها آيات لتكون حجة دامغة عليهم من واقع حجتهم و هو الأخذ بما في القرآن فقط.

يقول الله تعالي في سورة آل عمران " وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ "[٢].

و يقول في سورة النساء " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُوْلِي الأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً "[٣].

و يقول في سورة الأنفال " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ "[٤].

و هناك أدلة كثيرة من أرادها فليرجع إليها[٥].

---

[١] المنهج الأحمد جـ٢/٣٣.

[٢] آل عمران آية ١٣٢

[٣] النساء آية ٥٩

[٤] الأنفال آية ٢٤

[٥] انظر هذه الأدلة بالتفصيل، إعلام الموقعين جـ٢ ص ٢٩٤:٢٩٠

محور ردهم السنة و إنكارهم لها :

نستطيع أن نكتشف منطلق هؤلاء في إنكارهم للسنة و عدم الأخذ بها و ذلك لكشف مؤمراتهم من جذورها و احتثاثها من جذورها.

فلهم طريقان و محوران في رد السنة :

يرجع منشأ إنكارهم السنة إلى طريقين :

١- ردها بالمتشابه من القرآن.

٢- جعلهم المحكم متشابهاً ليعطوا دلالته.

بيان الطريق الصحيح للإحتجاج بالسنة :

إن طريقة الصحابة والتابعيين و أئمة الحديث عكس الطريقة السابقة تماماً.

و الطريقة الصحيحة هي :

١- يردون المتشابه إلى المحكم.

٢- يأخذون من الحكم ما يفسر لهم المتشابه و يبينه لهم فتتفق دلالته مع دلالة الحكم.

٣- يأخذون من السنة ما يفسر لهم مدلولات القرآن الكريم[١].

٤- الوحي شقان، وحي بلفظه و معناه و هو وحي القرآن الكريم، ووحي بالمعني و اللفظ من سيدنا رسول الله صلي الله عليه و سلم يأمره ربه أن يبين لنا و من هنا جاءت المقولة "إن القرآن الكريم أحوج إلى السنة النبوية الشريفة لتشرحه و تبينه وتبين المدلول منه".

[١] أعلام الموقعين جـ٢/٢٩٤.

علاوة على ما سبق انظر ما كتبناه –

في المبحث الثاني من الفصل الأول –

تعريف السنة، حجيتها، الأدلة على حجيتها، و الشبه حول السنة ومواجهتنا لها، ثم اقسام السنة ومحتويات القسم التشريعي، ليتضح لك بطلان دعوى هؤلاء.

إذا أثبتنا الأخذ بالسنة و عدم إنكارها فإننا نريد من وراء ذلك تحقيق ما يأتي : -

- إثبات الوحي.
- إثبات القرآن الكريم.
- إثبات النبوة و الرسالة.
- قفل – غلق – باب التصحيف و التحريف في القرآن الكريم.
- إثبات صحة النص و السند لهذه الأمة.
- ربط الأمة الإسلامية بمنبعها الأصيل و بمنهاجها المستقيم و هو الكتاب و السنة.
- إستمرار ية ذاتيتها الإسلامية.

هذا و الله أعلم و منه الهداية و التوفيق، "رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لاَ طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ"

تم بإذن الله و توفيقه – المرج المعمورة

في مساء الخميس من ربيع الأول سنة ١٤١٠ هـ

من أكتوبر سنة ١٩٨٩م

المراجع

أولا : القرآن الكريم كلام رب العالمين

ثانيا : أهم المراجع مرتبة ترتيباً هجائياً : -

١. ابن حنبل، حياته و عصره، آراؤه وفقه، تأليف الشيخ محمد أبو زهره، دار الحمامي للطباعة، توزيع دار الفكر العربي، القاهرة - مصر، بدون تاريخ.
٢. الأحكام في أصول الأحكام/ الشيخ العلامة سيف الدين أبي الحسن على بن أبي على بن محمد الآمدي، مؤسسة الحلبي و شركاه، القاهرة – مصر، بدون تاريخ.
٣. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الآصول، تأليف محمد ابن على بن محمد الشوكاني ت ١٢٥٥ ط – ١ – طبع بمطبعة مصطفي اليابي الحلبي، مصر.
٤. الإسلام عقيدة و شريعة الأمام الأكبر الشيخ محمد شلتوت، دار الشروق ، مصر – القاهرة، ط -٧ – ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م.
٥. إعلام الموقعين عن رب العالمين، تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية ت ٧٥١هـ، مراجعة طه عبدالرءوف سعد، مكتبة الحاج عبدالسلام أمين شقروان ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م
٦. الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر/ تأليف أبي بكر أحمج ابن محمد بن هارون الخلال ت٣١١ هـ ، تحقيق عبدالقادر أحمد عطا ١٣٩٥هـ ١٩٧٥ م، دار الإعتصام، القاهرة – مصر.
٧. الباعث الحثيث شرح اختصار علوم الحديث تأليف أبي الفداء عماد الدين بن أبي حفص شهاب الدين بن عمر بن كثير القرشي ٧٠١ – ٧٠٤ هـ، تعليق و شرح الشيخ محمد شاكر، ط -٣ مكتبة و مطبعة محمد صبيح و أولاده، الأزهر - القاهرة – مصر.
٨. تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي تأليف جلال عبدالرحمن بن أبي السيوطي ٨٤٩ – ٩١١م، حققه وراجع أصوله الشيخ عبدالوهاب عبداللطيف ط٢، ١٣٨٥هـ ١٩٦٦م دار الكتب الحديثة، عابدين – القاهرة – مصر.
٩. التفكير فريضة إسلامية، عباس محمود العقاد، ط٢، ١٩٧١م ١٣٩١هـ، دار الكتاب العربي، بيروت – لبنان.

١٠. الجاهلية قديماً و حديثاً، أحمد أمين عبدالغفار.
١١. جواهر العرفان في الدعوة و علوم القرآن، الشيخ الدكتور متولي يوسف شلبي، طبع دار الطباعة المحمدية ط١، ١٤٠٦هـ ١٩٨٦م القاهرة – مصر.
١٢. الحدود في الإسلامة ال و مقارنتها بالقوانين الوضعية، تأليف الشيخ الدكتور محمد بن محمد أبو شهبه سلسلة البحوث الإسلامية، مجمع البحوث الإسلامية العدد ٧٢ غرة صفر ١٣٩٤هـ ١٩٧٤م، القاهرة – مصر.
١٣. الدعوة الإسلامية ووسائلها في النبوة، تأليف الشيخ الدكتور أحمد غلوش، ط١، ١٩٧١م دار الجيل للطباعة، الفجالة – القاهرة – مصر.
١٤. الرد على الزنادقة و الجهمية، تأليف الإمام أحمد بن حنبل، المطبعة السلفية و مكتبتها ١٣٩٣، القاهرة – مصر.
١٥. الرسالة للإمام المطلبي محمد بن إدريس الشافعي ١٥٠ – ٢٠٤هـ بتحقيق وشرح الأستاذ أحمد محمد شاكر، ط٢، ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، دار التراث، القاهرة – مصر.
١٦. رسالة التوحيد تأليف الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية ت ١٣٢٣هـ ١٩٠٥م، مكتبة ومطبعة محمد على صبيح و أولاده ١٣٨٥هـ ١٩٦٩م، القاهرة – مصر.
١٧. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم و السبع المثاني للعلامة أبي الفضلي شهاب الدين السيد/ محمود الألوسي البغدادي ١٢٧٠هـ، طبع إدارة الطباعة المنيرية، بيروت – لبنان ، بدون تاريخ.
١٨. السنة، تأليف الإمام أحمد بن حنبل ضمن مجموعة شذرات البلاتين جـ١ من ٤١:١٥٢ و مطبوع منفرد، بدون تاريخ.
١٩. السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين و رفض الجاهلين مع مصطلح الحديث للشيخ الدكتور متولي يوسف شلبي ط٤، ١٤٠٣هـ ١٩٨٢م مطبعة التقدم، القاهرة – مصر.
٢٠. سنة الرسول صلي الله عليه و سلم، تأليف الشيخ محمد الحافظ التيجاني، سلسلة البحوث الإسلامية ٧- مجمع البحوث الإسلامية ١٣٨٩هـ ١٩٦٩م، القاهرة – مصر.
٢١. السنة و التشريع تأليف الشيخ الدكتور موسي شاهين لاشين خبير أول السنة بمركز بحوث السنة و السيرة، جامعة قطر، مجلة مركز بحوث السنة و السيرة، العدد الثاني ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م، الدوحة – قطر.
٢٢. السياسة الشرعية في إصلاح الراعي و الرعية للإمام ابن تيمية، دار الشعب، القاهرة – مصر، بدون تاريخ.

www.mohamedsayedamer.com

٢٣. شرح البيجوري على الجوهرة المسمي تحفة المريد على جوهرة التوحيد للإمام العالم شيخ الإسلام إبراهيم البيجوري، تصحيح و تعليق حسين عبدالرحيم من ١٣٧٤هـ ١٩٥٤م، مكتبة و مطبعة محمد على صبيح و أولاده، القاهرة – مصر.
٢٤. صحيح البخاري لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بودراية البخاري – رضي الله عنه – مطابع الشعب ١٣٧٨هـ، القاهرة –مصر.
٢٥. طرق تخريج حديث رسول الله صلي الله عليه و سلم للعالم الشيخ الدكتور أبو محمد عبدالمهدي بن عبدالقادر بن عبدالهادي، دار الإعتصام، القاهرة – مصر، بدون تاريخ.
٢٦. عمدة القاري شرح صحيح البخاري للإمام بدر الدين محمود ابن أحمد العيني، طبع المنيرية، القاهرة – مصر.
٢٧. فتح الباري بشرح صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري للأمام الحافظ أحمد بن على بن حجر العسقلاني ٧٨٣ – ٨٥٤هـ، رقم أحاديثه الشيخ محمد فؤاد عبدالباقي و قام بإخراجه الأستاذ محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية و مكتبتها، الروضة – القاهرة – مصر.
٢٨. القاموس المحيط، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، مكتبة و مطبعة البابي الحلبي ط٣، ١٣٧١م، القاهرة – مصر.
٢٩. القصور العوالي من رسائل الإمام الغزالي/ تحقيق فضيلة الشيخ محمد مصطفي أبو العلا، مكتبة الجندي، الحسين – القاهرة – مصر.
٣٠. لسان العرب لابن منظور جمال الدين بن محمد بن مكرم الأنصاري، طبعة مصورة عن طبعة بولاق، تراثنا، المؤسسة المصرية العامة للتأليف و الأنباء، القاهرة – مصر، بدون تاريخ.
٣١. محاضرات في علوم الحديث تأليف الشيخ الدكتور المرحوم مصطفي أمين التازين المطبعة المحمدية ٧١، القاهرة – مصر.
٣٢. مذكرات في مدخل الفقة الإسلامي، د زكريا البري، دار النهضة العربية ط١، ١٣٩٤ هـ ١٩٧٤م، القاهرة – مصر.
٣٣. معجم مفرادات ألفاظ القرآن للعلامة الراغب الأصفهاني ت ٥٠٢هـ تحقيق نديم مرعشلي ط١، دار الفكر، بيروت – لبنان.
٣٤. مناقب الإمام أحمد بن حنبل تأليف أبي الفرج عبدالرحمن ابن الجوزي ط١، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م، دار الآفاق الجديدة، بيروت – لبنان.

٣٥. مناهل العرفان في علوم القرآن تأليف الشيخ المرحوم محمد عبدالعظيم الزرقاني ط٣، مطبعة عيسي البابي الحلبي، القاهرة – مصر.
٣٦. المنهج الأحمدي في تراجم أصحاب الإمام أحمد تأليف أبي اليمين مجد الدين عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن العلمي ٨٦٥ هـ – ٩٣٨ هـ، تحقيق الشيخ محمد محي الدين عبدالحميد ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م، المدني، القاهرة – مصر.
٣٧. منهج الإمام أحمد بن حنبل في الدعوة الإسلامية رسالة ماجستير مخطوطة، مكتبة أصول الدين، القاهرة، إعداد د محمد سيد أحمد عامر ١٩٧٩، القاهرة – مصر.
٣٨. النبأ العظيم، نظرات جديدة في القرآن تأليف الشيخ الدكتور المرحوم محمد عبدالله دراز، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م مكتبة المتنبي، القاهرة – مصر.
٣٩. وحي الله تأليف د. حسن ضياء الدين، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.

فهرس المحتوي

مقدمة ٤
الفصل الأول : مصدر المنهاج الفكري للداعية ٨
مدخـــــل ٩
أولا – فطرية التشريع و الحاجة إليه ٩
ثانيا : ضرورة الوحي و الحاجة إليه ١٥
المبحث الأول : القرآن الكريم ٢٠
المطلب الأول : تعريف القرآن الكريم : ٢٠
المطلب الثاني: محتويات القرآن الكريم : ٢٢
المطلب الثالث : أنواع أحكام القرآن الكريم. ٢٣
المبحث الثاني : السنة النبوية الشريفة ٣٤
المطلب الأول : تعريف السنة ٣٥
المطلب الثاني : حجية السنة ٣٩
المطلب الثالث : أقسام السنة ٥٠
المطلب الرابع : محتويات القسم التشريعي في السنة ٥٧
الفصل الثاني : المنهاج الفكري للداعية ٦١
مدخـــل ٦٣
المبحث الأول : منهاج الداعية المسلم في تفسير القرآن الكريم. ٦٣
المطلب الأول : خطوات منهاج تفسير القرآن الكريم ٦٣
المطلب الثاني : ثمرة هذا المنهاج ٧٠
المبحث الثاني : منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ٧٢
المطلب الأول : خطوات منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ٧٢
المطلب الثاني : ثمرة منهاج الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر ٧٤
المبحث الثالث : منهاج الداعية في المناقشة ٧٨
المطلب الأول : خطوات منهاج الداعية في المناقشة ٧٨
المطلب الثاني : ثمرة هذا المنهاح وأثره ٧٩
المبحث الرابع : منهاج الداعية الفكري في التدريس ٨١
المطلب الأول : خطوات الداعية في التدريس ٨١
المطلب الثاني : ثمرة المنهاج ٨٣
الفصل الثالث : تأثير المنهاج الفكري للداعية المسلم في قضايا الفكر الإسلامي ٨٥
مدخـــل ٨٦
المبحث الأول : قضايا العقيدة ٨٦
المطلب الأول : قضية الإسلام و الإيمان ٨٦
المطلب الثاني : قضية أفعال الأنسان – قضية القدر و أفعال العباد ٩١
المبحث الثاني : قضايا التكفير و الجاهلية المعاصرة ٩٣

المطلب الأول : قضية التكفير ٩٣
المطلب الثاني : قضايا الجاهلية المعاصرة ٩٥
المبحث الثالث : قضايا الكتاب و السنة ١٠٤
مدخـــل: ١٠٤
المطلب الأول : قضية التعارض بين آي القرآن الكريم ١٠٤
المطلب الثاني : قضية إنكار السنة ١٠٧
المراجع ١١١
فهرس المحتوي ١١٥